روايــة

القرابين المحرمة

عنوان الكتاب: القرابين المحرمة
الموضوع: رواية
التأليف: كريم غباشي
مراجعة لغوية: كريم أبو النور
إخراج فني: محمد الزهيري
تصميم الغلاف: محمد مجاهد
رقم الإيداع: ٢٠٢٠/١٥٧٨٧
الترقيم الدولي: 978-977-6639-87-4
الناشر: دار تويتة للنشر والتوزيع

www.facebook.com/Tweetforpublish

tweetpublishing2017@gmail.com

٧ش محمد أبوالعطا - محطة العريش - فيصل - الجيزة
رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز
المدير العام: أ/ رشا العمري

٠١٠١٧٧٩٩٧٩٩
٠١٢٢٥٧٦٢٠٦٦

تويتة
Tweeta
للنشر و التوزيع

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة#غرد_للعالم

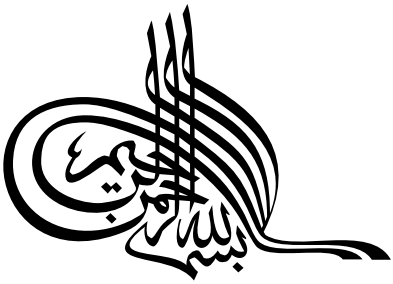
القرابين المحرمة

رواية

للكاتب

كريم غباشي

دار تويتة للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلىٰ روح أتشوق لرؤيتها، هي كل شيء في نظري هي الحياة التي ما عدتُ أرىٰ منها غير كل قبيح بعد رحيلها، إلىٰ أمي -رحمها الله- أسألكم لها قراءة الفاتحة ...

وإلىٰ كل من وثق بقلمي، كل من ساعدني كي أقف علىٰ قدمي لأنهض من جديد هؤلاء من أهدي إليهم كل غالٍ ونفيس.

مُقَدِّمَة

قد مرَّ العُمر دون أن نشعر به. . . لك أن تتخيّل أن تُصبح رجلًا في الخمسين من عمرك بعدما كان كل همك الوحيد أن تخرج للعب بالكرة؛ وتبكي عندما يأخذها أحدهم ويُهدد بقطعها، كنّا ننظر إليه نظرة غضب ونحن نقول في أنفسنا:

- يا لهُ من رجل أبله!.

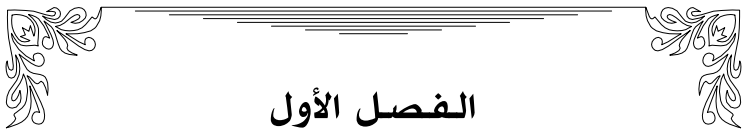
الآن، قد تبدّل الوضع كثيرًا، أصبحنا نحن هذا المتعجْرف الأبله الذي يأخذ الكرة من الأطفال عندما ترتطم بالشرفة، ويهدد بقطعها ملوحًا لهم بالسكين.

تغير كل شيء، الشارع الذي كان يعجب الأطفال أصبحوا اليوم شبابًا يفكرون في العمل والزواج فليس لديهم وقت للعب، والأشخاص الذين تعودنا علىٰ رؤيتهم في كل يوم، ونلقي عليهم التحية عندما نمرّ بهم لم نعد نراهم. . .

كبار السن الذين كانوا هم بركة الشارع قد ذهبوا جميعًا لم نعد نرىٰ أحدًا منهم، فقد فارقوا الحياة واحدًا تلو الآخر، يتعلم الشخص حينها أن الفراق أشد من الموت بكثير فهو شعورٌ فتّاك يقتل كل ما فينا دون رحمة منه.

عندما نسمع عن حادثةٍ قد راح ضحيّتها عائلة كاملة، نتخيَّل لو عاش الأب وعلم بعد ذلك أن أبناءه قد رحلوا عن هذا العالم ماذا سيفعل؟، بالتأكيد شعورٌ قاسٍ لا يعلمه إلا من جرّب الفراق، ومن ذاق هذا الشعُور البشع الذي يجعلك تشعر وكأنك جسد بلا روح.





الفصل الأول
سرٌّ قد دُفن

يوم الاثنين الموافق ١٩٩٤/٧/١٨

«محافظة القليوبية» – «مدينة بنها» (كفر سعد)

كانت الأمطار غزيرة، والغيوم قد ملأت جو السماء في هذا اليوم الشتي، غير الرعد الذي يلمع في أعين الناس ببريقٍ جذّاب وصوتٍ يجعل القلوب ترتعب لسماعه، وتقشعر الأبدان من برودته، البرق يظهر ثم يختفي بسرعة كبيرة،

يوجد طريق كبير مُمتد في بداية «كفر سعد» يدعونه «بمدخل الكفر» علىٰ جانبيه توجد أراضٍ زراعية، والفلاحون يقومون بعملهم اليومي؛ بينما الأطفال يهرولون في الطرقات وهم يحملون مصاحف الجيب الصغيرة متجهين نحو منزل الشيخ «وحيد السيد متولي» الذي أفنىٰ حياته في تعلم القرآن، وتعليمه للصغار حتّىٰ بلغ من العمر عتيًا، واستطاع المرض أن ينخر في عظامه، حتّىٰ أجلسه علىٰ مقعد لا يتحرك برغم ذلك لم يكلّ ولم يملّ ولم يُضِعِ الوقت إلا في تحفيظ الصغار... يقولون أن الرجل عندما يبلغ سن السبعين يضعف بصره وسمعه، وينحني ظهره وذاكرته وتتلاشىٰ مع العمر، ومن الممكن ألا يتذكر أي شيء، هو لم يكن كذلك فبصره كان شديدًا، ودقيقًا أيضًا وذاكرته من قوتها كانت تذكره

بمواضع الآيات... تبدو أنها بركة القرآن التي يتحدثون عنها... البركة التي تحفظك عندما تحفظ كتاب الله، بين هؤلاء الطلاب طفل صغير في الخامسة من عمره يسمىٰ «مازن»، ما كان يميزه عن باقي الأطفال هي ملكة الحفظ الذي يتمتع بها، لم يتخيل شيخه أن مازن سينتهي من حفظ القرآن في أربعة أشهر دون لغوب وأيضًا يراجع حفظه علىٰ أكمل وجه كما طلب منه... كل هذا كان سببًا في دفع الشيخ وحيد وإلحاحه علىٰ والد مازن (السيد حجاج البلتاجي) أن يجعله يدرس في معهد القراءات التابع لوزارة الأوقاف ببنها؛ ظن والده أن الشيخ يسخر منه كيف لطفل صغير لم يتعدَ السابعة بعد بأن يدخل مثل هذا الصرح الكبير؟؛ فلا أحد يتسنىٰ له دخول هذا المعهد إلا من كان القرآن عنده مثل اسمه لا ينسىٰ منه حرفًا واحدًا؛... أراد الشيخ وحيد إثبات قدرة مازن أمام الجميع منهم والده الذي لم يكن يصدق كلما أخبره به الشيخ وحيد؛ فكان الشرط هنا أنه سيدخله مسابقات كثيرة يعرف عنها الشدة لا أحد يربح فيها إلا من يستحق؛ فوافق والد مازن علىٰ ذلك وكانت المسابقة الأولىٰ له والاختبار الشديد مسابقة الأزهر الشريف والفائز فيها سيصعد إلىٰ مسابقة الجمهورية التي تقوم تحت إشراف الأزهر؛ وإن اجتازها يصعد إلىٰ مسابقة العالم في القرآن الكريم والصدام هنا أنه بالفعل فعلها وهو ابن السادسة من عمره، كان الجميع في عجبٍ، ابن من هذا؟، وكيف له أن يحفظ القرآن بهذا الشكل الخرافي؟!، فهو يحفظ الآيات بمواضعها والأسطر بأماكنها يمينًا أو يسارًا، حتّىٰ أتىٰ والده في هذه

المسابقة التي تذاع علىٰ التلفاز فهي مسابقة العالم في القرآن الكريم، عندما جلس بجوار أبيه ظنت اللجنة القائمة علىٰ الاختبار أن المتسابق هو هذا الرجل، وليس ذاك الطفل الذي يجلس بجواره لذا توجهوا بالأسئلة نحوه حتّىٰ صعقوا وهو يقول:

- لست المتسابق بل ولدي.

وهو ينظر إليه بنظرة بها من الفخر والسعادة ما تكفىٰ لتغمر قلبه بالرضا... فتبسم مازن وهو يقول:

- أنا المتسابق رقم اثنين بادر أحد المشايخ من اللجنة بسؤال مازن للتأكد أنه يستطيع الإجابة عليه:

-كم عمرك؟

- ستة أعوام ونصف.

- هل تحفظ القرآن كاملًا مجودًا؟

أومأ مازن برأسه ثم أردف قائلًا:

- الحمد لله، بل هو من يحفظني.

تبسم السائل واعتدل بكرسيه وهو يثني عليه من أجل هذه الإجابة ثم سأله الشيخ الآخر:

- أخبرني يا ولدي متىٰ حفظت القرآن؟

- حفظت القرآن في أربعة أشهر.

- (تبارك الله) هلا أخبرتني كم يحتوي القرآن علىٰ سورٍ؟

- مئة وأربع عشرة سورة منهن اثنتان وثمانين سورة مكية أي نزلن في مكة وعشرون سورة مدنية أي نزلن في المدينة.

كان الشيخ منبهرا به وهو يتابع حديثه:

- وأيضًا، عدد كلماته ٧٧٤٣٧ كلمة وعدد الأحزاب ثلاثون حزبًا وثلاثون جزءًا، فقاطع قائلًا: وكم يحتوي علىٰ أحرف، هل تعلم؟ كان سؤالًا تعجيزيًا لم يطل الصمت طويلًا حتىٰ قال ردًا عليه: نعم أعلم ٣٢٣٦٧١ وعدد الأربع الموجودة ٢٤٠ ربعًا.

تبسم الشيخ الذي يجلس أمامه قائلًا:

- ماشاء الله.

ثم ألقىٰ بالسؤال ممازحًا وهو يحاول أن يوقع به:

- تعلم عدد السور المختلف عليها في القرآن؟، هذا السؤال أظنه عسيرًا عليك.

تبسم مازن وقال بثقة عمياء تكبر سنه:

- اثنتا عشرة سورة.

الجميع قد تملكه الدهشة والريبة معًا كيف لهذا الطفل أن يحفظ القرآن بهذه القوة؟!، غيره أمضىٰ عمره كله وهو يحاول فعل هذا الشيء... فبدأت المسابقة، وبعد أسئلة كثيرة لم يستطع أحد التغلب عليه؛ فذاكرته أشبه بالحاسوب هو يعمل علىٰ معادلة ذهنية كبيرة التعقيد ورغم صغره لكنه يتقنها لدرجة أنه يعرف مواضع الآيات، والسور، وأرقام الصفحات... كان مازن معجزة «كفر سعد» أمام الجميع.

بعد مرور ١٣ عامًا.

في مشفىٰ الفردوس بين حوائط المشفىٰ البيضاء ورائحة التعقيم التي تتطاير في أرجاء المشفىٰ تجلس في غرفة رقم عشرين والدة مازن (ولاء حسن الجندي)؛ وما إن دخل الطبيب وهو ينظر إليهم وكأنه يخفىٰ شيئا ثم أشار إلىٰ (السيد حجاج) ليخبره أن زوجته قد تأخرت حالتها إلىٰ حد كبير وما إن دلف عليهم الباب أشار السيد إلىٰ ولده مازن بأن يلحق به خارج الغرفة... جلسا يتحدثان فقال:

- الأطباء يريدون رفع والدتك من جهاز التنفس... أخبرني الطبيب أنها لن تستيقظ من غيبوبتها هذه أبدًا، ونحن لا نستطيع تحمل التكاليف يا ولدي، ظل مازن في صدمة شعر أن والدته قد ذهبت إلىٰ خالقها... حتّىٰ الحلم الذي جاءت إليه فيه لتخبره بأن يتركها تستريح ما دفعه ليوافق والده.

مر عام حتىٰ تزوج (السيد حجاج)، وقرر السفر خارج مصر ليعمل بالخارج، وافقت زوجته الجديدة، كان يعلم مازن وقتها أن أباه قد تغير معه في كل شيء حتّىٰ أنه أشعره وكأنه لم يعد يريد رؤيته، لم يعد مازن أيضًا يرتاح إلىٰ زوجة أبيه، أو يراها كأمه، كما أخبره والده مرارً وتكرارًا،

ظل يذهب إلىٰ المقابر كثيرًا لزيارتها ويجلس معها بالساعات، يدعو الله لها، لا ينساها من دعاءه أبدًا، ولكنه كان يذهب إلىٰ المقابر في مواعيد لا يُستحب الذهاب فيها!... بعد

الساعة الرابعة مساءً. . . فكان يذهب في أي يوم اشتاق فيه إلىٰ مجالستها.

قبر والدة مازن في بلدة ريفية ومن العادات التي يتبعها أهل الأرياف: تحديد مواعيد معينة للذهاب إلىٰ المقابر مثل يوم الخميس، والجمعة من كل أسبوع ولا يكون الذهاب إلا صباحًا من الساعة السابعة وحتىٰ أذان الظهر وتراهم يذهبون في جماعات؛ فقليلًا ما تجد امرأة تذهب إلىٰ المقابر بمفردها.

كان مازن يذهب بمفرده إلىٰ المقابر(الروضة)، ويجلس بجوار قبرها دون أن يبكي أو يدع ثورة الدموع التي بدأت بالخروج من التساقط؛ فهو يعلم جيدًا أنها لا تحب أن تراه هكذا؛ لذا تقوىٰ علىٰ نفسه وحاول السيطرة علي دموع قلبه التي تحاول الفرار منه.

مرات ينتابه شعور غريب عندما يزور المقابر وحده بأوقات متأخرة، هو يعلم علم اليقين أن لا أحد يجرأ علىٰ الاقتراب في هذا الوقت، دائمًا ما كان يشعر أن أحدًا ما يقف خلفه !، أو يراقب حركته!.

من الممكن أن يتوهم ذلك أو ينتج الشعور عن وجوده في المقابر في هذا الوقت المتأخر، لكنه لم يكن يكترث كثيرًا لهذه الأشياء. . . حتىٰ سمع صوت بكاء يأتي من الشارع المجاور لقبر والدته، فالمقابر هنا قد صمّمت بنظام شوارع صغيرة في مساحة المتر، مناكِبها كانت غير ممهدةٌ، صوت البكاء كان عاليًا وقتها، ظنّ أنها سيدة تبكي علىٰ فراق زوجها أو شخص عزيز عليها.

اقترب من مصدر الصوت بخطواتٍ بطيئة لكي يرىٰ من يبكي؛ فلم يجد أحدًا في الشارع مطلقًا، كان يتوهم كعادته... فخرج من الشارع متوجهًا إلي قبر والدته مرةً أُخرىٰ حتّىٰ سمع الصوت يعُود من جديد ولكن هذه المرة كان عاليًا لدرجة جعلته يلتفت مسرعًا نحو مصدر الصوت فلم يجد شيئًا!.

ذهب مسرعًا وهو يهرول خارج المقابر، فقد تملك وتسلل إلىٰ قلبه شيءٌ من الخوف غير التساؤلات التي ظلت تدور في رأسه:

- ما كان هذا الصوت الذي لا أرىٰ صاحبه؟!.

حتىٰ أتىٰ اليوم التالي وجلس مازن مع الرجل الذي يعتني بالمقابر، ويسقي الزرع هناك مقابل الجنيهات التي يتحصل عليها؛ فقص عليه مازن ما حدث معه البارحة فقال الرجل وبدا عليه القلق:

- لمَ تجوب المقابر في هذا الوقت المتأخر؟!.

قال مازن مستغربًا:

- وما المشكلة في ذلك؟

اعتدل في جلسته وهو يقول:

المقابر ليست متاحة في كل الأوقات!.

كان مازن يعلم أنها غير متاحة للنساء فقط في هذا الوقت؛ فلمَ أحاديث هذا الرجل الغامضة إلىٰ هذا الشكل؟، لم يستطع فهم ما قاله، كان يتحدث بنبرة يكتنفها الريبة، وكأنه يعرف ما يحدث هنا ليلاً!.



الفصل الثاني
أسْرارٌ مُخبَأةٌ

هناك أسْرارٌ مُخبَأةٌ جيدًا عن أعيُننا، لم نُفكّر في كونَها حقيقيةً أم دربًا من دُرُوبِ الخيال، وهل ما يُحْكىٰ عن المقابرِ حقًا مُخيف؟... ولِمَ هو مخفيٌّ عن أعيُننا؟!..

(رجل المقابر) فهو يَرىٰ من الغُموض ما لم يمرّ عليك طيلة الدهر كله، لكن هذا الشخص كان يتمتع بغموض كبير؛ فهو يبدو في سن العشرين، فما الذي يجعله يحَيا بين المقابر هكذا؟!.

كانت كلماتهُ غامضةً بعض الشّيء وهو يقول مُخاطبًا «مازن»:

- المقابر ليست متاحة في كلّ الأوقات.

قد أتىٰ مازن كعادته في وقتٍ ليس مفضلًا لدىٰ ساكِني هذه المقابر فليْست من الأوقات الّتي يجُوب فيها الزائرُون لتوزيع «الرّحمة والنّور» كما يطلقون عليها.

جلسَ معه مازن ثم قال سائلًا:

- لمَ يتم تحديد أوقات لزيارة المقابر من الأصل؟

قال بنبرته الهادئة:

-أنت لن تتحمل أن ترىٰ شيئًا يُخيفك، أليس كذلك؟!.

كان مازن يعلم أنه يُخيفه فقط والمقابر ليست مخيفة لهذه الدرجة، كان يسمع دائمًا عن الأشخاص الذين يختبئون في

المقابر من الشرطة، والأشخاص الذين ليس لهم مأوىٰ غيرها، فكان بالنسبة لهم أن حياتهم بالخارج أشد رعبًا من المقابر نفسها...

حتىٰ أمسك بعصًا كانت ملقاةٌ أسفل قدميه وهو يقول:

- لقد أَفْنيتُ أعوامًا هُنا ورأيت وسمعت أشياءً كثيرة؛ فلا تأمن الجلوس هنا بمفردك!.

تعجّب مازن منهُ فكيف ينصحُه بعدم المكوث في هذا الوقت رُغم أنه يجلس بين المقابر بل ويخلد إلي النوم بكل أريحية؟!.

شعر الرجل بتعجب مازن منه فقال:

- المكان هنا صباحًا ليس سيئًا بل يلقىٰ الراحة والطمأنينة في قلبك، ويجعلك تتذكر أشخاصًا كانوا ومازالوا يسكنون القلب، ولكن ليلاً يبثّ فيك الرُّعب... تتخيل أن أحدًا يتّبعك وأنت تسير، فلو تحركتْ قطةٌ صغيرةٌ بجوارك؛ لكانت كافية بأن تجعلُك تتبوّل في سروالك.

قال مازن مستغربًا:

-أنت تنصحني بعدم المجيء وفي ذاتِ الوقت أنت تمكث هنا!..

تبسم ابتسامة لم يفهم مغزاها وقال:

- ما اسمك؟

.. كانت الإجابة غريبة بعض الشيء، لِمْ يتوقعها؟، وكأنه يتهرب من الإجابة عليه لكنه رد عليه قائلًا: أنا مازن.

زادت الدهشة عندما سأله عن عمره فقال له:

- في العشرين ولكن لمَ تسأل؟.

- لكي أتعرف عليك ليس إلا، تعلم، المقابر هي المكان الذي يذكرك بالحقيقة التي لطالما تغافل عنها الجميع، الحقيقة التي لابدّ وأن نراها بأعيُننا، لا فرق هنا بين ملك وفقير، بين قوي وضعيف، الفرق فقط يكمن في العمل، هذا المكان يعجب الأرواح منها من هم يعذبون، ومنهم من يغرق في النعيم

تنهد وجلس وهو يتابع حديثه:

- تعلم، منذُ أيام أتت سيدةٌ إلي المقابر ليلاً كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، كنتُ ذهبت لأستريح قليلًا قبل صلاة الفجر، سمعت صراخها فهرولت لنجدتها، ظننت أنها فتاةٌ قد وقعت في أيدي بعض المراهقين... دائمًا ما أجد هذه الأشياء هنا لا تتعجب، ما حدث أنني وجدتُها تجلس بجوار قبر يحترق!، حدث هذا أمام عيني كان القبر يحترق وبشدة حتىٰ أنني هرولت لجلب الماء لمحاولة إطفاء الحريق؛ ولكن لم أستطع، كانت ألسُن النّيران عاليةٌ جدًا حتّىٰ أنها تمكنت من المقابر التي بجوارها... ما علمته بعد ذلك أن هذه السيدة هي من أشعلت النيران في قبر زوجها؛ لأنه كان يخونها، وعلمت أيضًا أنها كانت منفصلة عنه، وتوجد بينهما خلافات، وأنها قد علمت بخيانته بعد وفاته!.

أثناء ما كان يسترسل في حديثه كان مازن في غاية الدهشة... غير مصدق كيف يصل الكره إلي هذه الدرجة؟!.

ثم انتبه ثانية لحديثه وهو يقول:

- هذه المرأة لم أنسَ وجهها، ولقد علمت من حديث الناس عنها أنها تسكن في منزل قريب من المقابر، وما جعلني أتعجب أكثر حين علمت أنها تُوفيت بعد شهر من هذه الواقعة، ودفنت بجوار زوجها في عين النساء لأنهما كانا أقرباء.

قال مازن سائلًا:

-وما العجيب في ذلك؟

أسند الرجل ظهره إلي الوراء وهو يقول:

- ما حدث بعد ذلك في قبرها هو العجب بنفسه!...

فقبرها كان يشتعل من تلقاء نفسه، وكنتُ أظنّ أن من يفتعل ذلك هم بعض الشباب الذين يختبئون بين المقابر من ملاحقة الشرطة لهم، ولكن الأمر زاد عن حده، كنت أجلس بجوار القبر ولا أتركه لكي أعلم ما الذي يحدث هناك؟، فلم يحدث شيء وعندما أغفلُ عنه ولو ثانيةٍ واحدة يشتعل من نفسه... كانت القرية هنا تعلم هذا الأمر!.

قاطع مازن حديثه قائلًا:

-اعذرني أنا لا أصدق كل هذا فأنا علىٰ يقين أن المقابر هي شيء عادي جدًا، لن يظهر لي مخلوق ذو أنياب، ويأكل رأسي، ولن أجد امرأة عجوز تجوب المقابر ليلًا كما سمعت.

تغير وجه الرجل قليلًا فقد شعر بالاستياء من حديث مازن فقال بنبرة بها نوع من الحدة:

-أنا أنصحك ليس إلا وافعل ما شِئت.

ثم هم ليذهب لولا أن أمسك مازن بيده وهو يقول له:

-اعذرني، أعلم، أنك تخبرني بذلك لمصلحتي لا تغضب مني.

أمسك بيده وهو يقول محدقا إلي عينه:

-أنت شجاع؛ لذا لن أقلق عليك.

قال مازن في نفسه:

- لماذا قال عني شجاع رغم أنني لم أفعل أمامه شيئًا يدل علىٰ الشجاعة مطلقًا، هل وجودي في مثل هذه الأوقات يُعدُّ من الشجاعة، (ههه) جائز.

ذهب بعد انتهاء حديثه مع الرجل إلي قبر جده... فهو قريبٌ جدًا من هنا، قرأ له الفاتحة رغم أن بعض المشايخ قد نفوا قراءة الفاتحة أمام قبر الميت؛ فلم يرد عن النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- أنه اختص سورة بعينها لتقرأ أمام القبور.

لم يكن يكترث لهذه الاختلافات الفقهية، ما كان يطمئن قلبه هو أنه فعل ما رآه صحيحًا، خرج من المقابر الساعة الثامنة مساءً...

تبتعد المقابر عن منزله قرابة الربع ساعة، رجع إلي المنزل وهو يفكر في كل كلمة قد تفوه بها هذا الشاب، فاهتز هاتفه معلنًا عن اتصال من صديقه «وائل»، سمع صوته الذي كساه الحزن وهو يقول:

- لقد توفيت أمي يا صديقي، أرجوك، أنا في أمس الحاجة إليك.

صُدم مازن من الخبر، فهو يعلم جيدًا مدىٰ تعلق وائل بأمه ويعلم كم حجم الجُرح الذي قد تركته خلفها،

الأم هي عصب الأمر كله، هي صمام الأمان، هي الدفء الذي يغشانا ليلاً في شتاء قارص، وهي الأمل الذي يحيي القلب فينا والعزم من جديد، لم يكن فراقها سهلًا بل هو من أشد أنواع الفراق... أن تبتعد عن أمٍّ قد فضلتك علىٰ نفسها، إن هذا لأمر جلل، فكيف لشخص يحيا دون شخص كان سببًا في وجوده، شخص يعيش من أجلك، شخص يعطيك الحب بلا مقابل.

قد تغيّر الحال مع وائل كثيرًا بعد وفاتها.

ظلّ يذهب إلي المقابر في أي وقت كما كان يفعل مازن في السابق.. بعد حديث هذا التربيّ لمازن أخرج فكرة الذّهاب إلىٰ المقابر من عقله لأنه خشي الأشياء التي ما وراء الطبيعة حتّىٰ طلب منه وائل أن يذهب معه إلىٰ المقابر لزيارة قبر أمه، كانت الساعة الرابعة عصرًا، يعلم أن الليل سيحلّ عليهم هناك، دلفا إلىٰ المقابر وجلس وائل بجوار قبر أمه يدعو الله لها فسمع مازنُ صوت قدمٍ تخطُو نحوهما ببطءٍ شديد فالتفت فإذا به...





الفصل الثالث

قبر أمه

سمع صوتَ قدم تقتربُ، فالتفت فإذا بهذا التربي الذي تحدث معهُ منذُ أيام كان وجهه شاحبًا، وكلماته كانت تُوحي بالتهديد وهو يقول:

- ألم أخبرك ألا تأتي في هذا الوقت المتأخر؟.

رجع مازن إلي الوراء قليلًا وهو ينظر إليه في ريبٍ ثم قال بهدوء:

- لا تقلق، سنغادر قبل أن يأتي الظلام.

- حسنًا، ولكن لا تنسَ أنني حذرتك.

نظر وائل متعجبًا مما يحدث ثم اقترب من مازن بعد مغادرة الرجل وهو يقول متسائلًا:

- من هذا الرجل؟..

قال مازن بتلعثم:

- هذا «التربي» الذي حدَّثتك عنه قبل ذلك، تصرّفاته غريبةٌ جدًا، أظنه قد جُن.

قال معاتبًا:

-لا تسخر من أحد، أظن أنّه يعاني من مرضٍ مَا، تبسم مازن قائلًا:

-حسنًا، لا تقلق منه.

أدار رأسه محدقًا النّظر إلىٰ قبر أمه وكأنّه يراها، انتظر مازن أن يذهبا، ولكنّ وائل كان مستمتعًا بالجلوس هكذا فقال مازن:

- أريد أن أذهب لزيارة قبر أمي فهو قريبٌ جدًا من هنا.

ظن مازن أن وائل سيذهب معه لكنه رد قائلًا:

- اذهب أنت، وأنا سوف أنتظرك.

ذهب مازن وجلس قرابة النصف ساعة حتىٰ اقترب الليل من الدخول، كانت الساعة السادسة مساءً.. قرأ الفاتحة وما إن انتهي حتّىٰ سمع صوت نبشٍ وكأنّ قطّة تلهو فوق القبر،

المقابر هناك ليست عبارة عن حفرة تأخذ الشكل المستطيل بمساحة جسم الإنسان المتوفىٰ، وبعمق لا يتجاوز المترين في الغالب هذه تسمىٰ اللحد، فالمقابر تختلف من بلدٍ إلىٰ آخر، أما هذه المقابر؛ تبدىٰ علىٰ هيئة غُرف، يميناً يوضع الرجال، وفي اليسار يوضع النساء، ويغلق بباب من حديد.. خشية السرقة التي ظهرت مؤخرًا من قبل المُجرمين الذين يسرقون الجثث ليحصلوا علىٰ حفنة من الجنيهات عن طريق بيعها لطلاب الطب وهكذا.

لكن الصوت الذي سمعه مازن فوق الغرفة التي تحوي القبر لم تكن أقدام قطة؛ بل كأن أحدًا يتحرك بقدميه فوق.. خرج مسرعًا لينظر من بالأعلىٰ ولكن قد اختفىٰ الصوت في ثوانٍ، ظن أنه يتوهم فرجع بقدمه حيثُ ترك «وائل» فلم يجده... فالتفت خلفه عندما شعر بقدم تقترب ظنًا منه أنه وائل وتبين له أنه

«التربي» كان يسقىٰ الزرع بجواره، وهو يختلس النظر إليه، اقترب مازن منه وقال متسائلًا:

هل رأيت صديقي الذي كان هنا؟!

رفع رأسه وهو يقول:

-لا، لم أرَ أحدًا.

ثم أخذ الجردل وذهب في غموض... لمح مازن بقع الدّماء أسفل الجردل الذي بيده... تخيل وقتها أن وائل قد قتل وهذه دماؤه، تبسم وقال في نفسه:

- إنها الأفلام الأجنبي، السبب في هذا التصور.

خرج من المقابر في قلق قد تملك قلبه فرأىٰ التربي يقف في ناحية الممر الذي يفصله عن الشارع الرئيسي وهو ينظر إليه، أدار مازن رأسه، ومضي في طريقه، وهو يعلم أنه ما زال يتابعه بنظراته المريبة، ذهب إلىٰ منزل وائل، وطرق الباب لم يفتح أحد حتّىٰ خرجت «أم إبراهيم» التي تسكن في الشقة المجاورة لهم، هي تجلس أغلب الوقت أمام باب شقتها... قالت له عندما رأته: كيف حالك يا ولدي؟

- بخير يا «أم إبراهيم»، وكيف حالك أنتِ؟

-في نعمة من الله يا ولدي، هل تريد وائل؟

-أردتُ أن أطمئن عليه؛ لأنه كان معي، كنّا عند قبر أمه ثم ذهب دون أن ينتظرني...

- ولكن يا ولدي، لم يأتِ بعد، ووالده بالعمل.

تعجب.. أين يكون قد ذهب؟

خرج وقتها من منزله لا يعلم ماذا سيفعل، ما كان يدور في رأسه، بقع الدّماء وحركات هذا التربي المريبة، واختفاء صديقه... هل ما تخيله من الممكن أن يصبح حقيقة؟، دعا الله أن يخيّب ظنه هذه المرة.

جلس خارج منزله ينتظره حتىٰ أتىٰ والده من العمل وهو متعجبٌ من جلوس مازن في هذا الوقت المتأخر فقال:

- لمَ تجلس هكذا ياولدي؟

لم يكن يعلم ما الذي يقوله غير أن الكلمات تسارعت من تلقاء نفسها بالخروج:

- وائل كان معي وتركني، وأنا لا أعلم أين قد ذهب...

- ماذا تقول؟!

قالها مستغربًا من حديثه فقال:

- لا أعلم أين هو الآن، لقد جلست طيلة اليوم فلم يأتِ بعد!.

أخذه والد مازن بالسيارة ثم توجه إلىٰ منزل أقاربه ظنًا منه أن يكون قد ذهب إليهم دون أن يخبره؛.. لم يكن هناك، وهذا ما زاد من توتر والده كثيرًا وأخذ يسرع كالمجنون، لا يُعقل أن يفقد زوجته وولده في مرةً واحدة...

، فذهبوا إلىٰ أقسام الشرطة والمستشفيات لم يتركوا مكانا إلا ذهبوا إليه ولكن دون جدوىٰ، خرج مازن عن صمته هذا وقال له ما يدور في رأسه وحكىٰ ما حدث من هذا التربي وما قالهُ...

قد طلع النهار عليهما فذهبا إلىٰ المقابر ليبحثا عن التربي فلم يجداه حتّىٰ خرج رجلٌ عجوز لأول مرةٍ يراهُ مازن، نظر إليهم باستغراب ثم قال:

- هل تبحثون عن شيء؟

قال والد وائل وهو ينظر إلىٰ مازن:

- هل هذا هو التربي الذي تحدثت عنه؟

-لا ليس هو.

قال الرجل العجوز كلمات ألقت الرعب والدهشة في قلب مازن:

- يا ولدي، لا يوجد تربي لهذه المقابر غيري، أنا أعمل هنا منذ أعوام !.

كان يدور في عقل مازن وقتها أن هذا الرجل يكذب لكي يخفي شيئا عنهم، أو أنه اختطف وائل وأصابه بمكروه،

أصبح والد وائل في قلقٍ شديد، ظهر هذا جليًا علىٰ محياه وهو يقول:

-أنت متأكدٌ من ذلك.. لا أحد يعمل هنا غيرك؟

.

جلس الرجل العجوز وهو يؤكد حديثه:

-أنا الشيخ «سيد» والجميع يعرفونني هنا، ولا أحد يجلس في المقابر غيري، أيعقل أن أكذب عليك وأنا في هذا السن المتأخر؟!.

التفت الأستاذ «عبد الرحمن» إلىٰ مازن وهو يقول:

-صف لي شكلهُ...

حاول مازن تذكر ملامحه ثم قال:

-هو رجل يبدو أنه لم يتعد الثلاثين من عمره، جسده نحيل، ووجه تملؤه الحبوب، ويده مشوهة، يبدو أنه قد تعرض لحادث...

قاطعه حديث الشيخ سيد وبدا علىٰ وجهه أنه قد تعرف علىٰ هذا الشخص فقال:

-نعم لقد علمت عمَّن تتحدث.

قال مازن في اهتمام كبير متسائلًا:

- ومن هو؟.

جلس علىٰ الأرض وهو يقول:

- اعذرني يا ولدي، فقدمي تؤلمني.. الشخص الذي وصفته للتو يشبه ولد الشيخ عثمان، هو كان يجلس هنا كثيرًا.

قال الأستاذ «عبد الرحمن»:

-ومن هو الشيخ عثمان هذا؟ وأين منزله؟.

التفت إليه وهو يقول:

- الشيخ عثمان هو الذي تسبب في بناء هذا المسجد الذي أمامكما، وهو من وقف أمام الشركات التي أتت إلىٰ هنا لهدم المقابر.. كانوا يريدون أن يجددونها، ويتم نقل العظام من

المقابر إلىٰ مقابر أخرىٰ، الكل وافق إلا الشيخ عثمان هو من وقف في طريقهم، الذين وافقوا كانوا لا يعلمون أن هذه الشركة تريد فعل ذلك لأجل المال فقط، لا أدري ما الفائدة التي ستعود علىٰ الميت من تجديد قبره؟.. هل عدنا إلىٰ زمن الفراعنة!.

قال الأستاذ «عبد الرحمن»:

- يا شيخ سيد، الأمر خطير جدًا.. لا أريد أن أعرف ما الذي حلّ للشيخ عثمان، فولدي كان هنا، واختفىٰ ولم يظهر إلىٰ الآن، لا أعلم أين قد ذهب وحاولنا الاتصال به لكن هاتفه ظل مغلقًا، الأكيد أن ولدي لم يخرج من هنا، فأنا أشك بولد الشيخ عثمان هذا !.

قال الحاج سيد مستغربًا:

- لم يحدث أن اختفىٰ أحد في المقابر، وولد الشيخ عثمان لن يفعل مثل هذه الأفعال، حتىٰ إنه يأتي إلىٰ هنا كل عام مرةً أو مرتين.

رد عليه مازن بانفعال:

-لا، .. أنا أجده هنا كل مرةٍ وهو من أخبرني أنه يمكث هنا أيضًا.

قال الشيخ سيد:

- كيف يا ولدي؟ فهو لا يستطيع التحدث مطلقًا...

قال مازن محاولًا الفهم:

- تقصد أنه أبكم؟

- نعم.

نظر مازن إلىٰ أستاذ «عبد الرحمن» وهو يقول:

- بالتأكيد هو يتحدث عن شخص آخر غير الذي قابلته يومها.

فأخرج الشيخ سيد هاتفه المتهالك، وهو يبحث فيه عن صورة ولد عثمان ثم اقترب من مازن وهو يقول:

-هذا ولد عثمان.

تعجب مازن... كيف يمتلك هذا الرجل هاتفًا متطورًا؟!، توتر مازن وهو يقول في نفسه:

-هو بالفعل!، ولكن كيف لا يتحدث وهو كان يتكلم معي؟. لابدَّ وأن نذهب إليه.

التفتتُ إلىٰ الأستاذ «عبد الرحمن» قائلًا:

- لابد وأن نرىٰ هذا الشخص، أنا متأكدٌ من أنه يتحدث ولم أقابل غيره يومها.

ثم جذب يده وهو يقول:

- هيا لنذهب إلىٰ منزله، حالًا.

حصلوا علىٰ عنوان منزل الشيخ «عثمان» ثم انطلقوا نحوه كان يقع في قرية نائية تُسمىٰ الأربعين.. يبدو أن المنزل قد بُني حديثًا، أبوابه عالية والدرج لم يكتمل بناؤه بعد.. فلو كنت رجلًا عجوزًا ما استطعت أن تصعد عليه، طرق مازنُ الباب مرةً واحدة

فوجد سيدةً عجوز هي من فتحته، كانت تتكئ علىٰ عصا...، رفعت رأسها وهي تقول:

- من أنت يا ولدي وماذا تريد؟.

تقدم الأستاذ «عبد الرحمن» قبل أن يتحدث مازن قائلًا:

- هل ولد الشيخ عثمان موجود؟.

- أي واحد فيهم؟.

تردد الأستاذ «عبد الرحمن» وهو يقول:

- الأبكم.

رجعتْ إلىٰ الوراء قليلًا وهي تقول:

- ماذا تريدون منه هو لا يخرج من المنزل مطلقًا؟.

كانت كلماتها مقلقة لمازن فسارع بالرد قائلًا:

- نحن أصدقاء الشيخ «عثمان»، وجئنا لنسلم عليه.

ظهر جليًا علىٰ وجهها عدم الارتياح لهم غير الارتياب الذي ملأ كل ملامحها المجعدة؛ فقالت بعدم تصديق:

-الشيخ عثمان توفىٰ من سنة...

نظر والد وائل إلىٰ مازن وهو مستاء من أنه قد ادعىٰ أنهم يعرفونه، فقال لها مصارحًا:

- لقد خُطف ابني وهو في زيارة إلىٰ والدته في المقابر وصديقه هذا قد رأىٰ ولد الشيخ عثمان هناك يعمل في ساقية الزرع وخدمة المقابر؛.. كنا فقط نريد أن نعرف منه أين قد ذهب وائل ولدي.. أنتِ تعلمين حرقة القلب أليس كذلك؟.

جلست علىٰ الكرسي الذي في ساحة المنزل وهي تقول:

- اجلسوا.

ثم تنهدت وتابعت حديثها:

-أنا أصدقكم أنه قد خطف ولكن كيف ستحصل علىٰ إجابة منه وهو أبكم لا يسمع ولا يتحدث وأيضًا لم يخرج من المنزل هذا الشهر كله؟.

ألح والد وائل علىٰ مقابلته، فنادت السيدة العجوز علىٰ أحد يدعىٰ «محمود» وهي تقول:

-يا محمود أحضر«سليم» إلىٰ هنا.

صعد الدرج وبعد دقائق قد مرت وهم منتظرون، فإذا به يخرج التربي الذي تحدث مع مازن فنهض سريعًا وهو يقول:

- نعم أنت هو من قابلته في المقابر أليس كذلك؟، ألا تعرفني؟

حركات رأسه، ونظراتهِ المتوجسة وكل شيء يوحي بأنه حقًا لا يتكلم ولا يسمع.. فمن الذي قابله مازن؟!.

فسأل مازن السيدة العجوز التي علم بعدها أنها جدته من ناحية الأب:

- ما سبب عدم قدرته علي الكلام؟

- عندما توفي والده أصيب بجلطة هي من تسببت فيما حدث له.

وبعدما انتهت من الحديث معه بالإشارة لتسأل عن وائل لم يفهم ما يشار إليه حتّىٰ قالت لهم:

- يقول إنه لم يذهب إلىٰ هناك؛ لأنه يخشىٰ الظلام، وهو لا يذهب إلي المقابر إلا صباحًا لزيارة والده.

قام أستاذ «عبد الرحمن» منفعلًا وهو يقول:

- وما الذي يثبت لي أنه أبكم ولا يسمع؟.

قالت العجوز منفعلة:

- ولمَ نكذب عليك؟

رد قائلًا:

- أنا سوف أذهب إلىٰ قسم الشرطة، وأحرر محضرًا لكي أتأكد من أنه ليس له عَلاقة باختطاف ولدي.

قالت السيدة بهدوء:

-هذا حقك، افعل ما تراه صحيحًا.

ثم أشارت إلىٰ الباب وهي تقول:

- أظن أنكم تعرفون طريق الباب جيدًا.

خرجا من هناك متوجهين إلىٰ قسم الشرطة، فأعلنت حالة الطوارئ وقتها، وسمعا بعض طلقات النار، كان القسم يتعرض لهجوم من بعض المجهولين، فأخذه والد وائل إلىٰ منزله لحين هدوء الأجواء بالخارج، كان يلقىٰ بكلمات اللوم عليه:

- لو لم تتركهُ يومها لما حدث كل هذا.

كاد عقل مازن أن ينفجر، والشعور بالذنب كاد يقتله، ثم قرر الذهاب وغادر متجهًا إلىٰ منزله ثم دلف الباب؛ فإذا بزوجة أبية كانت تجلس في انتظاره حتّىٰ وقفتْ وهي تعاتبه علىٰ هذا التأخير؛ وكعادته لم يلتفت لحديثها ودلف باب غرفته ظلت تطرق الباب بقوة لتعرف ما الذي حدث، فتح الباب وأجلسها معه وقصّ عليها ما حدث.

فقالت بصوت حنون:

- لست أنت السبب، صدقني، صديقك هذا سيظهر، لا تقلق عليه، ولكن قم أنت، وبدل ملابسك، الآن.

ذهب ليغتسل فشم رائحة كان يضعها وائل كثيرًا !... فهو يميز رائحة عطره جيدًا، فتح باب الحمام؛ فإذا به يرىٰ بقع دماء أسفل الأرض!، لم يكن يعلم لمن هذه الدّماء حتىٰ وجد....





الفصل الرابع
فأصبح أبكمَ

وجد صديقه وائل وهو يرتدي ثيابًا مغطاة بالدماء وممزقة، عيناه كانت تشعُّ بالغضب غير الدّماء التي تسري من جسده كالنهر الجاري؛ وكأنه قد جرح جرحًا كبيرًا، لم يقل شيئًا ظل ناظرًا إليه، فتسمر جسده حتىٰ الكلمات أبت الخروج من فمه، شعر أن الاحبال الصوتية قد انقطعت فأصبح أبكمَ لا يقوىٰ علىٰ الحديث، تبسم وائل ابتسامة توحي بالشر ثم اقترب منه بخطواتٍ بطيئة، فحاول مازن الرجوع للخلف ببطء ولكنه لم يستطع، وقف وائل وكأن كلماته قد حُررت وخرج عن صمته الذي أرعبه وهو يقول:

- خذ المفتاح.. خذ المفتاح.

لم يعِ من حديثه حرفًا ولم يجد في يديه شيئًا، عن أي مفتاح يتحدث؟! فأغمض عينه للحظات وردد ما حفظ من كتاب الله خارج الخلاء، فشعر بمن وضع يده علىٰ كتفه فاهتز جسده خوفًا ورعبًا، فتح عينيه بفزع، وابتلع غصته من شدة الخوف وهو يقول:

- لا تؤذيني، أرجوك.

فإذا بها زوجة والده من وضعت يدها علىٰ كتفه، نظر لها ثم قال بأنفاس متقطعة:

- وائل قتل.

تعجبت منه وقالت وهي تحاول أن تهدأ من روعه:

- لا تقلق، هو لم يمت.

جلس وهو يقول:

- روحه جاءت إليّ.

ظنت علياء زوجة والده أنه قد جن، ولكنها حاولت تهدئته وهي تقول:

- لا يوجد شيء أنت يتهيأ لك، اهدأ لا تخف..

أغمض عينيه ولم يشعر بشيء لم يكن قادرًا علىٰ الحراك؛ فدخل في نوم عميق من شده التعب والإرهاق.

في صباح اليوم الثاني ذهب الأستاذ «عبد الرحمن» إلىٰ قسم الشرطة، ليبلغهم باختفاء وائل في ظروف غامضة، واتهم ابن الشيخ عثمان بأنه من تسبب في ذلك، الضابط الذي استقبله كان يدعىٰ «سمير الشربيني»، حكىٰ له ما جرىٰ فأمر بإحضار مازن ثم أخذهما وتوجه بهما إلىٰ منزل عثمان الذي حكىٰ عنه، وما إن وصل إلىٰ المنزل وطرق بابه حتّىٰ خرجت سيدة عجوز، وما إن رأت ملابس أمناء الشرطة حتّىٰ بدا عليها الانفعال وحدة ظهرت علىٰ حديثها وهي تقول:

- ماذا تريدون منا؟

نظر الضّابط خلفها فوجد رجلًا في الثلاثين من عمره، يقف وراءها وهو يرتدي جلبابًا ثم تقدم وأفسح ذراعيها وهو يقول: :

- ادخلي، يا جدتي.

ثم نظر إلىٰ سمير قائلًا:

-هذا منزل الشيخ «عثمان»، ماذا تريد أيها الضابط؟

اقترب سمير منه وهو يقول:

- نريد ولد الشيخ عثمان؛ لأنه متهم بقضية خطف، وأظن أنكم تعلمون عما أتحدث.

فتح الباب علىٰ مصراعيه وهو يقول:

- تفضلوا بالداخل.

دلف الضابط الباب وأمر مازن أن يبقىٰ خارجًا، لكنه أصر أن يدخل معهم فجلسوا، سأل الضابط «سمير» هذا الشخص الذي قام بفتح الباب قائلًا:

- ما اسمك؟

- أنا عمر، الابن الأكبر للشيخ «عثمان» -رحمه الله-.

- تشرفت بك، هلا أحضرت أخاك؟

نظر إلىٰ جدته وهو يقول:

- رجاءً، احضري (سليم).

فقال الضابط:

-من فتحت لنا الباب هي جدتك؟

- نعم.

كانت نظرات «عبد الرحمن» كلها تشع بالقلق والخوف حتىٰ لاحظ سمير، فأراد أن يطمئنه فقال:

- لا تقلق، ولدك سيعود في أقرب وقت.

شرد مازن في هذه الكلمات وتذكر شبح وائل الذي ظهر أمام عينه، مما جعل الشك يلج قلبه، قطع صوت أمين الشرطة شرود مازن عندما قال:

-الطبيب قد وصل، يا سيدي.

التفت مازن وهو يقول:

- ولمَ أتيت به إلىٰ هنا؟

اعتدل سمير في جلسته قائلًا:

-الأمر لا يحتاج إلىٰ أن نذهب به إلىٰ القسم، لا أريد إلا أن نتأكد أولًا من أنه يعاني من عدم السمع والكلام، ثم بعد ذلك نقرر ماذا سنفعل، ونتأكد من أنه كان في المقابر وقتها أم لا.

دخلت جدته ومعها سليم في ريبٍ وهي تقول:

- كنا نريد أن نراكم في أوقات أفضل من هذه، ولكن خير.. تفضل أيها الضابط، احتسِ قهوتك.

دخلت فتاة عشرينية ووضعت أكواب القهوة في صمتٍ دون أن تتحدث، ثم غادرت الغرفة فتابعت المرأة العجوز حديثها وهي تقول:

- كما ترىٰ هو لا يسمع ولا يتكلم، وهم يقولون إنه تحدث إليهم في المقابر، غير أنه لم يذهب بمفرده قط، وأنا علىٰ يقين

من أنه لم يخرج منذ أسبوعين من المنزل، ولك أن تتأكد بنفسك، أيها الضابط.

أشار سمير إلىٰ الطبيب الواقف بجوارهم وهو يقول:

- نريد أن نتأكد من أنه لا يسمع ولا يتكلم.

أخذ الطبيب يتفحصه، وبعد دقائق قد مرت أكد الطبيب ما قالته جدته قائلًا:

- حقًا هو لا يسمع ولا يتكلم.

خرجت الكلمات دون قصد من مازن:

- أيعقل هذا؟.. أنا علىٰ يقين أنه هو من كان في المقابر يومها

لم يجب عليه، وقام الضابط سمير وهو يشكرهم علىٰ حسن الضيافة، ثم جذب يد مازن وهو يقول هامسًا:

- قلت إنه كان يتكلم معك في المقابر، والآن، الطبيب أثبت ما قالته جدته، نحن الآن ليس معنا أي أثبات يدين هذا الرجل.

وقف عبد الرحمن في حيرة من أمره، وهو يحاول أن يتقوىٰ علىٰ دموعه التي بدأت بالتساقط مثل الأنهار، فربت مازن علىٰ كتفه لكي يخفف عنه، نزع يده بقوة وهو يقول معاتبًا بحدة:

- لا أريد أن أرىٰ وجهك، ثم ذهب غاضبًا.

غادر مازن في حزن شديد، وتوجه عبد الرحمن إلىٰ المقابر، كان الليلُ قد جنّ عليه، شعر أنه سيجد وائل ابنه ينتظر

هناك وكأنّ شيئاً ما أقنعه بذلك، دون أن يشعر ذهب إلىٰ المقابر وأطفأ إضاءة سيارته، ونزل منها مترجلًا داخل المقابر، لم يذهب مازن إلىٰ منزله يومها بل ظل جالسًا بجوار البحر وهو يفكر، أين يكون قد ذهب؟ وهل يعقل أنني كنت أتوهّم؟.. هذا الشخص أنا أثق أنه يتحدث!. وهل ظهور وائل كان رسالة ليوصل لي شيئًا لا أعلمه؟!..

توجه مازن تلقاء المقابر ليلًا، لا يعلم ما الذي جعله يخطو بساقيه نحو المقابر هو الآخر، لم يكن يعلم أن الأستاذ «عبد الرحمن» موجود هناك حتّىٰ وجد سيارته، تعجب ثم اقترب منها وهو ينادي عليه ظنًا منه أنهُ بداخلها، لم يجده، كانت السيارة خالية فتركها، ودلف المقابر في قلق وريبة حتىٰ سمع صوت بكاء يعلو كلما اقترب من ناحية القبور، ظل يقترب بخطواتٍ بطيئة وبحذرٍ شديدٍ، فاختفىٰ الصوت فجأة وران الصمت علىٰ المكان، تابع في طريقه متجهًا إلىٰ قبر أمه وجلس بجوارها وهو ينظر إلىٰ باب القبر وشرد بذهنه فيما قد يكون حدث لوائل !..، قاطع شروده نفس الصوت الذي سمعه عندما ولج إلىٰ المقابر في المرة الأولىٰ فاعتدل ثم قام يبحث عن مصدره وظل ينظر يمينًا، ويسارًا وأخذ يخطو

نحو القبر الذي ترك فيه وائل حين تركه فلم يجد الأستاذ «عبد الرحمن» تعجب أين يكون قد ذهب في حين أن سيارته بالخارج، لابدَّ وأنه هنا في مكان ما.

شعر بالهواء البارد وهو يتسلل إلىٰ جسده فأصابه بالرعشة الفجائية، فاعتدل حتَّىٰ رجع الخوف يسيطرعلىٰ قلبه، ويتملكه،

فهمّ ليذهب فلمح ظلّ شخصٍ يقفُ في الظلام، ولا يتحرك، فقط كل ما كان يفعله هو أنه يتكئُ علىٰ جدار المقبرة، كاد يغشىٰ عليه من الموت.. يا تُري من هذا الشخص!؟

وقف مازن وهو يلقي بكلماته في خوف بدا علىٰ قدميه اللتين بدأتا يرتعشان:

- من هناك؟

صوت البكاء يعلو من خلفه، وهذا الشخص الذي لا يُرىٰ ملامحه من شدة الظلام يتكئُ علىٰ القبر ولا يتحرك، ثم تحول البكاء إلىٰ أنين، ظل مازن يقترب منه وهو يقول:

من أنت، أخبرني؟.

نزع الخوف من قلبه وتسارعت خطواته نحو هذا الغامض؛ فإذا به أستاذ «عبد الرحمن»، وفي صدره طعنة من سكين، الجرح كان ينزف وبشدة، اقترب منه بلهفة:

- ما الذي حدث لك!؟

وقع أرضًا وهو يفارق الحياة فزاحمت كلماته الأخيرة أنفاسه وهو يقول محاولًا إخراج الكلمات بصعوبة:

- لا تترك وائل.. أنقذه، أرجوك.

وصعدت روحه إلىٰ السماء ومات بين يدي مازن الذي لجمته الصدمة؛ فلم يستطع فعل شيء فتركه وذهب مسرعًا إلىٰ المنزل، لاحظت علياء ما حلّ به من هلع، طرقت الباب بخفة وهي تقول:

- هل لىٰ أن أدخل؟

كان جسده يرتعش، والعرق يتصبب منه مثل الأنهار، فلم يقوَ علىٰ الحديث معها، لم تسمع علياء غير أنفاسه العالية، فتنهدت وهي تفتح الباب ببطء فرأته في هذا الحال، فهرولت إليه مسرعةً:

- ما الذي حدث لك يامازن، ماذا بك؟

رجع إلىٰ الوراء واعتدل في جلسته محاولًا الظهور وكأنّ شيئا ما لم يحدث، ربتت علىٰ كتفه وقالت:

-أخبرني ما الذي حدث؟.

ابتلع غصته في خوفٍ وهو يقول:

-أرجوكِ، اتركيني وشأني، أنا بخير.

- أنت لست بخير، فحرارتك مرتفعة جدًا، ووجهك باهت وجسدك يرتعش بشدة.

قال مازن بغضب ضعيف:

-قلت لك إنني بخير..اذهبي، واغلقي الباب وراءك.

قالت بعند:

- لن أذهب من هنا إلا عندما تخبرني ما الذي يحدث معك؟، يجب أن تخبرني ما بك، فمن الممكن أن أساعدك!.

نهض ببطء وحاول الجلوس وهو يقول بهدوء:

- والد وائل قتل في المقابر، وكنت هناك ورأيته، ولكني لم أرَ من الذي فعل ذلك.. ولم أدرِ بنفسي إلا وأنا هنا!.

قالت وهي في دهشة:

- أنت متأكد من الذي تقوله؟، من الممكن أن تكون تهيأت.

انحنىٰ وهو يضع يده علي وجه ويتنهد قائلًا:

- لم تكن تهيؤات، فأنا متأكد من ذلك.

قامت فجأة وهي تقول:

- يجب أن نتأكد... هيا بنا نذهب الآن.

نظر إليها مازن مستغربًا ثم قال رافضًا:

- بالطبع، لا، لن أذهب في هذا الوقت.

نظرت له نظرة فهم معناها سريعًا فقال لها:

لست أنا من يخاف الجلوس ولكن أتحدث عنكِ...

قاطعته وهي تقول:

- يجب أن نذهب ونرىٰ والد صديقك، أقُتل أم أنها تخيلات، الموضوع ليس سهلًا؛ فهذه جريمة قتل.

كان خائفًا جدًا أن يذهب إلىٰ المقابر، ولكن مع إصرار علياء ذهب معها ودخلا المقابر ليلًا، قاطعهم صوت الشيخ العجوز الذي يمكث في المقابر، وهو يقترب منهم قائلًا:

- من هناك؟

اقتربت منه وهي تقول:

- أنا، يا شيخ.

كان يحمل مصباحًا كهربائيًا صغيرًا في يده ووجَّههُ عليهما وبدا أنه يعرفها حتىٰ تأكد منها فقال:

- كيف حالك يا علياء، يا ابنتي؟

التفت مازن إليها، وهو يقول:

- كيف علم باسمك هل تعرفينه؟!

- نعم، فأنا أذهب كل جمعة إلىٰ هنا لأزور أمي وأبي

ثم نظرت إلىٰ الشيخ وهي تتابع حديثها:

- كان يريد زيارة قبر جده، فقط، لذا أتينا في هذا الوقت المتأخر، عذرًا.

رد عليها: أنتِ تعلمين أن الوضع قد تغير كثيرًا، والمجرمين قد كثروا في هذه الأيام، من المستحب يا ابنتي، أن تأتي في وقتٍ مبكر عن هذا.

لم يدقق في وجه مازن؛ لذا لم يتعرف عليه ولم يتذكر أنه من أتىٰ ليسأل عن ولد الشيخ عثمان، فقال مازن محاولًا تذكيره: هل تذكرني؟

اقترب منه وهو يحدق النظر إليه فتذكره:

- نعم، أليس أنت من أتىٰ ليسأل عن ولد الشيخ عثمان؟

- نعم، ولكن هل لي بسؤال؟

- تفضل.

- أنت لا تترك المقابر وتذهب إلىٰ أي مكان آخر، أليس كذلك؟

- نعم يا ولدي، ولِمَ تسأل؟!

- فقط كنت أريد أن أعرف هل تذكر الشخص الذي أتىٰ معي وسألك علىٰ ولده الذي اختطف؟

- نعم، أتذكر ملامحه.

- هل أتىٰ إلىٰ المقابر مرةً أُخرىٰ؟

- لا، لم أره من وقتها.

نظرت علياء إليه وهي تقول:

-هيا، لنذهب، يا مازن.

أعلىٰ صوته وهو يقول:

- لا، لن أذهب حتىٰ أعلم ما الذي يحدث هنا!.

تعجب الشيخ منه فقالت علياء تحثه علىٰ أن يذهب:

- لا شيء يحدث هنا، أنت سمعته بنفسك وهو يقول إنه لم يأتِ إلىٰ المقابر، وأيضًا صديقك وائل كان يمر بظروف من الممكن أن تكون هي من جعلته يترك المنزل، صدقني لا يوجد شيء هنا، هيا، أرجوك...

جذبت يديه وهي تشده فنزع يدها ثم غادر مسرعًا متجهًا نحو منزل الأستاذ «عبد الرحمن» ليتأكد من أنه لم يمُت؛ طرق باب منزله بقوه فلم يفتح له أحد حتّىٰ خرج رجل من الشقة المجاورة علىٰ صوت الطرقات العالية وهو يقول:

- من تريد؟

-أريد الأستاذ «عبد الرحمن».

- ألا ترىٰ الورقة المعلقة علىٰ الباب؟

- أي ورقة؟

تبسم الرجل وهو يقول:

- انظر أمامك.

فوجد ورقة لم يأخذ باله منها مكتوب فيها (أنا مسافر هذه الفترة وتركت فواتير الكهرباء والماء مع صديقي في الشقة المجاورة رقم سبعة)

شرد بذهنه وهو يقول:

- ولكن كيف يذهب في هذا الوقت الحرج ويترك ولده هكذا؟!.

قطع شروده الرجل وهو يقول:

- تفضل بالدخول.

فشكره وذهب إلىٰ قسم الشرطة، وطلب مقابلة الضابط الذي أتىٰ معهما يومها، ليخبره بما حدث معه، كان يخشىٰ ألا يصدقه حتّىٰ قابله فقال له:

-أنا رأيت الأستاذ «عبد الرحمن» وهو مقتول في المقابر.

اعتدل الضابط في دهشة وهو يقول: ماذا تقول؟

- أقول لك ما حدث، أنا رأيتهُ بأم عيني هاتين... وهو ينزف دمًا وسقط علىٰ الأرض وفارق الحياة بين يدي.

تبسم الضباط قائلًا:

- وإن أخبرتك أننا وجدنا وائل ورجعناه إلىٰ أبيه، وأخذه وسافر به من هنا، ماذا ستقول؟!...



الفصل الخامس

العجوز

-كيف وجدتموه!؟. أرجع ظهره إلىٰ الكرسي ثم أردف ودخان سجائره يتصاعد إلىٰ الأعلىٰ ثم تلاشىٰ:

- صديقك كان يمر بضائقة نفسية، وأراد الانتحار لولا أن لحق به أحدهم وقام بإنقاذه... لولاه لكن وائل عند الذي خلقه الآن... أخبرت الأستاذ «عبد الرحمن» فجاء إلىٰ هنا واستلم ولده، ثم ذهب مسرعًا وأخبرني أنه يريد أن يذهب من هنا لكي تستقر حالة وائل النفسية، تعلم، معه حق، يبدو عليه أنه محطمٌ من الداخل، أظن هذا بسبب موت والدته، أليس كذلك؟.

أومأ مازن برأسه في صمتٍ ولم يتحدث ثم قام ليغادر مكتب الضابط فقام وجذب يده وهو يقول:

-لا تذهب إلىٰ المقابر كثيرًا هذه الأيام.

لم يعلم «مازن» لِمَ يقول له هذه الكلمات؟ وكيف علم أنه يذهب إلىٰ المقابر كثيرًا؟.



بعد يومين اتجه مازن إلىٰ المقابر مبكرًا؛ فوجد الرجل العجوز يسقىٰ الزرع، جلس معه يتحدث:

- كيف حالك، يا طيب؟.

التفت إليه، ثم تبسم وهو يقول:

- بخير يا ولدي، يبدو أن قدميك قد تعودتا علىٰ المجيء إلىٰ هنا مبكرًا.

تبسم مازن ثم أردف قائلًا:

- لقد جئتُ لأسألك عن شيء.

ترك الجردل الذي يحمله، وأشار إلىٰ مقعد صغير وهو يقول:

- ترىٰ هذه المقاعد؟.

نظر إليه، وهو يقول:

- نعم، أراها.

- اذهب واجلس عليها، وأنا سأنجز هذا العمل في دقائق.

ذهب مازن وجلس وهو يتابع حركات الرجل من تحت عويناته، وظل محدقًا النظر إلىٰ العجوز؛ فلاحظ أنه يختلس النظر إليه... حتىٰ انتهىٰ الرجل وجلس بجواره وهو يقول: ما سؤالك؟

- ألا تخشىٰ الجلوس في المقابر؟.

أسند ظهره وأخذ يسترسل في حديثه:

-الجلوس في المقابر ليس بالأمر اليسير يا ولدي، فأنا أجلس هنا منذُ سنوات عديدة، لا، لأنني أفضل الجلوس بين الأموات؛ بل لأنه لا يوجد لي مرتعٌ غير هذه المساكن الصّامت أهلها..، ولا أمتلك منزلًا يأويني، لم أتزوج؛ لذا لا يهتم لأمري أحد...

قاطعهُ مازن:

- أقصد أنك تجلس هنا ليلاً، ألم ترَ شيئًا يُخيفك أو جعل الخوف يتسللُ إلىٰ قلبك يومًا؟.

تبسم وهو يقول:

- الخوف؟!.. وما الذي يخيفني من هؤلاء؟!، هم قد ماتوا جميعًا، الخوف ليس منهم بل من البشر!.. نعم لا تتعجب نحن نحيا بين ذئاب أطلقوا علىٰ أنفسهم أنهم مثلنا وهم يأكلون مال بعضهم، لحم بعض، يقتلون أنفسهم، كل هذا لأجل المال الذي سيتركونه في نهاية المطاف ويرحلون، يا لهم من أغبياء!.

- أنت محق، ولكن أخبرني، ألم ترَ في المقابر شيئًا غريبًا تخشىٰ أن تذكره فتنعت بالجنون؟.

قام الشيخ وهو يتكئ علىٰ منسأته متبسمًا وهو يقول:

- ذات يوم أحضروا ليلًا امرأة عجوز أرادوا دفنها، ذهبت معهم، أتذكر عددهم لم يتعدَ العشرة، أدخلوها، ثم انصرفوا في عجالة، تعودت أن أجلس أمام القبر خصوصًا أول ليلة للمتوفىٰ، قد أخبرني أحد المشايخ أن أول ليلة في القبر يُستحب الجلوس بجوار المتوفىٰ والدعاء له وأنا أفعل هذا من نفسي... لعل الله يسخر لي من يقوم علىٰ قبري، لكي لا أطيل عليك، سمعت طرقات عالية تأتي من داخل القبر فاقتربت؛ فإذا بصوت مكتوم يحاول الخروج ثم صرخة مدوية، اهتز جسدي وقتها ورجعت القهقرىٰ، تغلبت علىٰ خوفي، واقتربتُ من باب القبر، كانت هي

العجوز التي دفنت منذُ ساعات، حطمت القفل لأخرجها فوجدتها كما وُضِعت لم تتحرك، شعرت بأنفاس شخص يقف خلفي التفت فإذا بها فالتفت إلىٰ الجثة قد اختفت؛ أصبت بصدمةٍ عصبيةٍ لم أشعر بشيء إلا وأنا أرقد علىٰ الفراش في المشفىٰ... قصصت عليهم ما حدث، لم يصدقني أحد وظنوا أنني قد جُننت من كثرة الجلوس في المقابر..تعلم، العجيب يا ولدي أنني عندما رجعت إلىٰ المقابر... علمت أن جثمان العجوز قد سُرق ومن وقتها ظل الجميع يُحكمون غلق المقابر لكي لا تسرق الجثث، ولعلمك، جرت سرقات جثث كثيرة دون علم أصحابها.. لا أعلم ما الذي رأيته يومها!، أقنعت نفسي أنه حلم رغم أني علىٰ يقين بما رأيت، ولكن لا جدوىٰ من الحديث في هذا الأمر... لا يُنسىٰ يا ولدي، لا يُنسىٰ.

لاحظ مازن الوقت تأخر فاستأذن منه الذهاب، وأخذ يخطو خارج المقابر في قلقٍ، وعقله يعمل علىٰ تجميع الخيوط التي تشابكت، الشخص الذي رآه يومها ابن الشيخ عثمان... ما علاقته بالمقابر؟ وكيف لشخص أبكم أن يتحدث؟!... وعبد الرحمن ووائل لِم تركوا البلد وغادروا؟... كل هذه الأسئلة كادت أن تشعل ثورة داخله، ومن هنا سعىٰ إلىٰ معرفة هذا العالم الغامض الذي لا يعرف عنه الكثير، تعرف علىٰ شيخ يدعىٰ صلاح... الجميع قد قالوا عنه إنه رجلٌ لا يعمل في الدجل بل يحارب الدجالين، هذا ما جعله يتعرف عليه... عندما أتت حملة من أهل الخير للتفتيش عن أعمال السحر التي توضع في المقابر،

كانوا في حاجة إلىٰ متطوعين فاشترك مازن وأخذ يبحث عن الأعمال المدفونة هناك... مما جعله في دهشة من أمره أنه وجد العديد من الصور المقطعة وغيرها التي خُيِّطت بخيط سميك، وصورٍ كتب عليها كلمات مثل المرض والفشل وعدم الزواج وعدم الإنجاب، صور تُظهر كمَّ الكره والغلَّ والحقد الذي ملأ قلوبنا، أخرجوا يومها أكثر من مئة عمل، قد كانت الكمية رهيبة... لكي تجعلهم يستمرون في البحث والعمل أكثر من مرة، الجميع يعلم أن الشيخ صلاح يتمتع بشخصية قوية توحي بالجرأة والقوة والحكمة معًا، ظل مازن يتربص به، ليعلم منه حقيقة الجن والأشياء التي لا ترىٰ بالعين المجردة حتىٰ سمحت له الفرصة أن يسأله... كانوا يتسامرون وقتها فقال له:

- لدي سؤال لك يا شيخ، و أرجو الإجابة عليه.

- تفضل، وما سؤالك؟.

-كنت أريد أن أعرف حقيقة الجن، ولكن اعذرني، لا أريد الإجابة من المنظور الخيالي.

فطن الشيخ لسؤاله وتلقّاهُ بأُذنٌ فقهية فقال له متبسمًا كعادته وسط طلابه من العلم:

- تفضل، أعي ما تريد أن تسأل عنه، أولًا: أنت تعلم جيدًا أنه قد ذكر في كتاب الله، وهذا أصدقُ دليلٌ علىٰ وجوده لنا نحن كمسلمين... ولكن الاختلاف بيننا أهو يتلبس الجسد أم لا؟.

قاطعه قائلًا:

- قبل أن نتحدث في هذه النقطة أريد شيئًا علميًا يوضّح حقيقة وُجوده...

- من المعلوم لدىٰ الكثيرين أننا لو نظرنا من المنظور العلمي؛ فلابد أن تعرف أن العلم دائمًا يخضع للتجارب، هذا إن كان الأمر يخضع للتجربة من الأساس، وقد يحصل من خلال الإدراك، لكن هذه الأشياء لا تُدرك، يبقىٰ الدليل الوحيد هو القرآن الكريم فكتاب الله لا يأتيه الباطل، وكما تعلم فمنهم الجن المؤمن ومنهم الكافر كما قال الله تعالىٰ:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢].

فهم يستمعون القرآن ويؤمنون به كما نؤمن نحن ولو نظرنا من ناحية أُخرىٰ، وتغير سؤالك ليصبح مما خلق الجن.. أعلم أن الجميع يعلم أنه خلق من نار السموم كما أخبرنا الله تعالىٰ في كتابه، ولكن ما نار السموم؟.

رد أحد الطلاب:

- هي نار جهنم الموجودة في الدرك الأسفل من النار؟

اعتدل الشيخ صلاح في جلسته، وهو يقول:

- يقول العُلماء لا نعلمُ شيئًا عن حقيقة هذه النار، ولكن الأكيد أنها طاقة، وكما تعلمون أن الذرة في الأصل طاقات كهربائية تكدست بترتيب ونظام لا يتخيله عقل ولا يستوعب، ثم

تشكلت لأشكال شتىٰ، عدد اختلاف الإلكترونات والبروتونات كما يعلم بعضكم مثل هذه العناصر: (الايدروجين، الكالسيوم، الحديد، الرصاص، إلخ).

ظلّ مازن منصتًا لحديثه بشدة كونه لم يجد عالم دين يتحدث عن هذا الأمر بهذه الطريقة المُثلىٰ، فقال مقاطعًا حديثه بما عنده من علم:

- أعلم أن العالم كله هو عبارة عن قوة كهربائية مغناطيسية وجاذبية وشيء آخر نجهله.

قال الشيخ صلاح:

- نحن نجهل الكثير عن عالمنا، وهذا من المحزن؛ فلابدَّ أن يعلم كل واحد منا كيف يكون هذا الكون، لكي يعلم عظمة من خلقه، والجن أيضًا خلقٌ مثلنا نحن خُلقنا من طين أما هم قد خلقهم الله من نار السموم أو كما قال تعالىٰ: من مارج من نار... هل يعلم أحدكم ما معنىٰ مارج؟.

يعلمها مازن فلم يتردد في رفع يده وهو يقول:

- نعم، المارج هو لهب النار الخالص من الدخان.

أثنىٰ عليه بين طلابه ثم تابع قائلًا:

- هذه الطاقة المجهولة عنا لا نعلم حقيقتها حتّىٰ الآن، ما يعلمها إلا الله... والعلم الحديث نفسه لم يعلم حتّىٰ يومنا هذا أية طاقة، بل ما استطاعوا الوصول إليه هو معرفة الآثار والاستفادة منها ليس إلا... والجن طاقة مخفية عن أعيننا؛ لذا

يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

رد عليه:

- كيف استطاع الأنبياء رؤيته، إذًا؟

- هم يتمكنون من رؤية الجن بقدرة الله، لما أعطاهم من ملكة خاصة نحن نجهلها.

- اعذرني، هل لي بسؤال آخر؟.

- بالطبع، تفضل.

- هل يتشكلون علىٰ أي هيئةٍ أرادُوا؟

- نعم، يستطع الجن التشكل، ولكن بقدرة الله، وفي دائرة محدودة، تعلم، من الممكن أن اختصر لك شكل الجن بكلمة «أمواج الراديو»... هو مثلها بالضبط، وأتذكر عندما أتىٰ في صورة سراقة بن مالك لما أرادوا الخروج إلىٰ بدر فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وقد تشكل في أشكالٍ كثيرة...

ثم قام الشيخ صلاح وتابع حديثه قائلًا:

- نكمل في المرة القادمة، إن أردتم أن يكون الحديث في نفس الموضوع.

فقاموا جميعًا وظلّ مازن شارد الذهن فربت الشيخ صلاح علىٰ كتفه، وهو يقول:

- أخبرني، ما بك يا مازن؟

حكىٰ له ما حدث من بداية الأمر، وما حدث معه في المقابر فطلب مقابلة ابن الشيخ عثمان.

انتابتْ جسدهُ القُشعريرة، وتسلّلتْ إلىٰ جسدهُ، فأصابتهُ بالرعشةَ الفُجائيّة، فلاحظ الشيخ صلاح، علم أن الأمر قد اشتدّ عليهِ، فطلب منه عنوان المنزل الذي يقطنُ فيه ابن الشيخ «عثمان»، ليذهب إليه فأعطاهُ العنوان علىٰ مضَض لم يكن يريد أن ينْبش في هذا الأمر مجددًا... تذكر كلمات الشيخ «عزيز» في المقابر عندما قال:

- الأمر لا يُنسىٰ يا ولدي، لا يُنسىٰ.

استيقظ الشيخ صلاح مبكرًا، وأخذ يتجه نحو المنزل الذي وصفه مازن، وطرق بابهُ، فخرجت امرأةٌ عجوز كان قد أخبره مازن أنها هي من ستفتح الباب، وحدث بالفعل فلقد فتحته علىٰ مصراعيه، ورمقته بنظرة توجس وهي تقول:

- من أنت؟

تبسم كعادته وهو يقول:

- هل هذا منزل الشيخ عثمان؟.

- نعم، من تكون؟

- أنا الشيخ صلاح، كنت أريد التحدث مع أحد أبنائه في أمرٍ مهمٍ للغاية.

أدخلته وهي تنادي علىٰ من بالمنزل، فنزل أخوه الأكبر ليستقبل الشيخ صلاح، ورحب به، فقال الشيخ صلاح له متسائلًا: أظن أننا قد تقابلنا قبل ذلك.

رد عليه:

- لا أظن ذلك، فأنا قليلٌ ما أخرج من المنزل، هل أنت صديق أبي؟

- لا بل جئت لأمر يخصّ شقيقك الأصغر.

شرد بذهنه وهو يقول:

- يبدو أنه من طرف مازن الذي ادعىٰ أنه رأىٰ شقيقىٰ في المقابر.

كانت نظراته توحي بالقلق نحو صلاح لدرجة أن ملامح وجهه قد تغيرت، قاطع صلاح شروده قائلًا:

-أعلم ما تفكر به، أنت تظن أنني قد أتيت من أجل ما حدث مع مازن، أليس كذلك؟.

اعتدل في جلسته وهو ينظر إليه متعجبًا.. كيف علم أنني أفكر في هذا الأمر؟!.. هذا ما جعله يحمل الريبة تجاهه فقال بحدة:

- إن كنت قد أتيت من أجل مازن كونه رأىٰ شقيقي في المقابر وهذه الخرافات التي يتفوهُ بها؛ فلتتفضل بالخروج.

رد عليه:

- هل لو كان الشيخ عثمان علىٰ قيد الحياة الآن كان قد

فعلها؟، أنا لم أتعرف عليه لكن الناس قد أخبروني أنه صاحب كرم، ويكرم الغريب قبل القريب.

رد عليه: ما يدعيه مازن هذا... ليس صحيحًا، وشقيقي بالفعل لا يتحدث، ولم يخرج من المنزل من الأصل...

- أنا أصدقك، ولكن هناك أمر أردتُ أن أعرفه منك.

- ما هو؟

- لماذا لم تسأل نفسك لِمَ ادعىٰ مازن أنه رأىٰ شقيقك يومها؟ وكيف استطاع أن يصف شكله وهو لم يره من قبل؟ وأنت من قال أنه لا يخرج من المنزل، فكيف علم هيئته، إذًا؟!

اعتدل في جلسته وأخذ يفكر، ثم أجابه:

- لا أعلم، ولكن ما أعلمه هو أن شقيقي ليس له يدٌّ فيما جرىٰ لصديقه.

نظر الشيخ صلاح إلىٰ السلم وهو يقول:

- لم لا تنادي عليه فقط، أريد أن اقرأ عليه بعض الآيات، لأتأكد من شيء.

قام والغضب قد اعتلىٰ محياه وهو يقول بحدة:

- شقيقي لا يسكن بداخله جن، لكي تقرأ عليه.

- ومن قال لك أنني أشك فيه؟، فقط كل ما أريده هو أن يطمئن قلبي من ناحيته، وليتأكد مازن أن الذي كان يراه في المقابر ليس شقيقك.

في هذه الأثناء كان يجلس مازن في غرفته وهو يفكر في حديث «الشيخ عزيز»، والقصة الغريبة التي ذكرها عن السيدة العجوز التي ظهرت له، وسر اختفاء جثتها التي لم تظهر حتّىٰ الآن... فنهض من أعلىٰ الفراش وارتدىٰ ملابسه وهم ليخرج؛ لولا أن أوقفته زوجة أبيه وهي تقول:

- إلىٰ أين ستذهب؟

تلعثم في حديثه، وهو يقول:

- أريد أن أشتري بعض الأشياء من الخارج.

قالت مستغربة: في هذا الوقت؟!.. وما هذه الأشياء التي تستدعي الخروج الآن؟، هل تخبئ شيئًا عنّي؟، أخبرني، يا مازن.

- أخبرتك ألا يوجد شيء، فقط، أردت الخروج لجلب بعض الأشياء، هل يجب أن أحصل علىٰ إذنك كلما أردت الخروج؟!.

قالها بحدة فتركته ودلفت باب المطبخ، خرج من المنزل متجهًا إلىٰ المقابر مرةً أُخرىٰ، ليقابل الشيخ «عزيز» ويسأله عن قبر هذه السيدة العجوز، وهل يعرف أحدًا من أقاربها أم لا، كل ما كان يدور في رأسه هو سرّ اختفاء وائل، ولقياه لولد الشيخ «عثمان» الذي اتضح أنه لم يكن موجودًا بالمقابر من الأصل، فربط كل هذا باختفاء جثة هذه السيدة، ظن أنه لو بحث وراء سر اختفائها سيجد دليلاً يقنعه، أو لا يجد شيئًا.!

دلف المقابر فلم يجد الشيخ «عزيز»، ظن أنه قد ذهب ليسقي بعض الزرع كعادته، فذهب مازن إلىٰ قبر جده، وقرأ له الفاتحة، ثم رجع إلىٰ المكان الذي يقطن فيه الشيخ «عزيز»، ولكنه لم يجده، ظل يسعىٰ بين المقابر حتّىٰ مضىٰ عليه الوقت، فجلس يستريح قليلًا، فسمع صوتًا يهمس في أذنه، يقول: المفتاح... المفتاح.

اهتز جسده واعتدل، فإذا به يرىٰ امرأة تتلوىٰ مثل الأفاعي، رجع إلىٰ الوراء، وأسرع بالخروج، فوجد أمامه الشيخ «عزيز» وهو يبتسم ثم أردف قائلًا:

- لمَ أتيت في هذا الوقت، يا ولدي؟

التفت مازن وهو يشير إلىٰ السيدة ويقول:

- من هذه؟!

نظر الشيخ «عزيز» وكأنه لا يراها:

- لا يوجد أحد، عن أي امرأة تتحدث؟!.

وجدها مازن تنظر إليه بنظرات توحي بأن الآتي ليس بخير، ثم توارت بين القبور، فأسرع خلفها، لم يجدها!، أخذه الشيخ «عزيز» وهو يهدئ من روعه قائلًا:

- أخبرني ما الذي رأيته، يا ولدي؟، لجعل نبضات قلبك تتسارع هكذا، ابتلع غصته كالذي يعاني من مرض شديد، ثم نظر إلىٰ الشيخ عزيز، وهو يقول:

- رأيت السيدة التي تحدثت عنها، ألا تذكر؟!

- أي سيدة؟.

- العجوز التي اختفت جثتها من هنا.

قال متسائلًا:

- وكيف تعلم شكلها؟، أنت لم ترها من قبل.

- شعرها أبيض، ولون عينها أزرق، ويوجد جرح كبير بين حاجبيها، أليست هي؟.

انتفض جسده، واقترب منه، وهو يقول:

- هذا وصفها... نعم، هي التي رأيتها، لم يصدقني أحد عندما أخبرتهم أنها ظهرت لي، ولكن كيف استطعت أن تراها؟!.

- أظن أنها هي من أرادت أن تجعلني أراها... بالفعل يوجد شيء غريبٌ هنا يدعو للدهشة.

فاهتز هاتف مازن فرد عليه؛ فإذا به الضابط، وهو يطلب حضوره إلىٰ القسم الآن، فاستأذن مازن الشيخ «عزيز» أنه سيأتي إليه في الغد، ثم غادر المقابر، وعندما وصل إلىٰ القسم دخل فوجد الضابط يبدو علىٰ وجهه العجب، حتىٰ رفع رأسه ورأىٰ مازن فقال:

- حدث شيء كنت أريد أن أخبرك به.

- وما هو؟.

- صديقك وائل ووالده قد ماتا منذ ساعات.

اتسعت عين مازن وقام وهو يقول -غير مصدق لما سمعه-:

- ماذا تقول؟ بالتأكيد، أنا من سمعت بالخطأ، من فضلك، أعد ما قلته...

- وائل ووالده قد قُتلا، ولكن الغريب في الأمر وما جعلني أفكر في حديثك مع أني مازلت غير مقتنع بما تقوله؛ ما حدث أنهما قتلا بطريقة غريبة، فقد قُطع رأساهما، ووُجدت علىٰ أجسامهما علامات تبدو بالكتابة الفرعونية، هذا ما استطعنا الوصول إليه، والكلمات كتبت بآلة حادة، وما زاد الأمرعجبًا... هو وجود جثث لمجرمين قد عثرنا عليها في الآونة الأخيرة... كتب علىٰ أجسامهم نفس الكلمات، يبدو أن القاتل يضع علامة ليخبرنا أنه من وراء قتل هؤلاء.

- يعني هذا أنهم قتلوا علىٰ يد معتوه واحد؟

- بالفعل، هو قاتل واحد.

- تعلم، من يستطيع مساعدتنا؟

- من؟

- ابن الشيخ «عثمان».

أسند الضابط ظهره إلىٰ الخلف، وهو يقول:

- الأبكم؟!.

- لا، الأخ الأكبر الذي قابلناه.

- وما تريد أن تعرف منه؟

- أشياء كثيرة أولها: حقيقة شقيقه، أنا متأكد من أنه هو من كان في المقابر.

- ولكن قد كشف عليه، وتأكدنا من أنه لا يتحدث بالفعل.

- أعلم، ولكن يستطع الجن التحدث.

صدم من الكلمة، فقال: هل تظن أن القاتل من الجن؟، بالله عليك، أخبرني بشيء يصدقه عقل، هل أكتب في ملفات القضية أن القاتل من الجن؟!.. بالتأكيد، سأحول إلىٰ الخانكة مباشرةً.

- صدقني، لن تخسر شيئًا إن جلسنا معه مرةً ثانية.

قام الضابط وأخذ هاتفه وهو يقول: هيا، لنذهب إليه.

عندما وصلا إلىٰ هناك تفاجأ مازن بوجود الشيخ «صلاح» في المنزل عنده !...





الفصل السادس

أوراق الرسم

تقدَّم بخطواتٍ ثابتة، وأخذ يصعد الدّرج في صمتٍ، ثم طرق الباب ففتح عمر ولد الشيخ «عثمان»، وهو يقول:

تفضلا بالدخول.

دخل مازن ووراءه الضابط «سمير» وأثناء مرور عين مازن بغرفة الجلوس وجد الشيخ صلاح يجلس عنده فتوجه إليه قائلًا:

- لِم لم تخبرني أنك ستأتي إليه في هذا الوقت؟

تبسم الشيخ «صلاح» قائلًا:

- لأنني لا أعلم أنك ستأتي أيضًا، ومن هذا الذي بجوارك؟

تقدم الضابط «سمير» قائلًا:

- معاك الضابط «سمير» المحقق في أمر اختفاء الجثث هذه الأيام.

تبسم صلاح وهو يلقي بكلمته ممازحًا إياه:

- تعلم، لاخوف علىٰ الأموات فهم قد رحلوا عنا... الخوف يكمن علىٰ الأحياء الذين يحيون كالأموات بيننا.

جلس الضابط سميروهو يقول ردًا علىٰ ما قاله الشيخ «صلاح»:

بالطبع، أنت محق ولكن دعنا نتخيل أن التي سرقت جثتها هي والدتك، هل ستراهُ شيئًا يسيرًا؟

- لا، بل سيكون الأمر مزعجًا لي.

-هكذا هوالأمرإذًا، ياصديقي، هومزعج للغاية.

دخل عمر ابن الشيخ «عثمان» ويحمل بين يديه أكوابًا من الشاي وهو يقول: تفضلوا.

أخذ كل واحد منهم الكوب الذي ناحيته دون أن يتخيروا ثم التفت عمرإلىٰ مازن وقال له:

- أما زلت تظن أن أخي وراء ما يحدث في المقابر؟

تبسم، وهو يقول:

- أظن هذا... أنا جئت إلىٰ هنا، فقط، لكي أتأكد من شيء

- وماهو؟

-أنت تعلم ما يحدث مؤخراً في المقابر واختفاء الجثث، أليس كذلك؟

- بلىٰ، ولكن مادخل أخي بذلك... هل هوأيضًا من يسرقها؟

- لم أقصد ذلك، ولكن ألم تلاحظ شيئًا غريبًا في تصرفات أخيك؟

أسند عمرظهره إلىٰ الوراء قليلًا وهو يسترجع ما حدث مع أخيه؛ وبدا علىٰ وجهه أنه يخفي شيئًا ما.!، حتىٰ قطع شروده الضابط «سمير» وهو يطمئنه قائلًا:

- صدقني، لن يحدث له شيء، إن ثبت عليه الأمر فسنعالجه.

قام عمر واستأذن ليحضر بعض الأوراق، ثم أتىٰ بها إليهم كانت الأوراق التي قد رسمها سليم الأبكم ابن الشيخ «عثمان»، نظر إليها مازن بدقة فوجد أنه يرسم ما يحدث في المقابر والسيدة العجوز أيضًا التي وجدها هناك ليلتها؛ رسمها بطريقة غريبة، بينما يتفحص الضابط «سمير» الرسومات اهتز هاتفه؛ فإذا به اللواء مجدي «السعيد» وهو يخبره أن جثة ترجع إلىٰ رجل الأعمال الغني منصور «الراشد» قد سرقت من المقابر منذ ساعات، وطلب منه أن يذهب إلىٰ هناك ليعلم ما الذي يحدث، ترك سمير الهاتف وهو ينظر إليهم قائلًا: جثة رجل الأعمال منصور «الراشد» قد سرقت منذ ساعات من المقابر ثم التفت إلىٰ عمروهو يقول بحدة:

- أين أخوك، أخبرني.

- هو بالأعلىٰ

فصعد مسرعًا ومعه عمر وفتح الباب؛ فإذا بسليم يرقد علىٰ فراشه، والذي يؤكد أنه لم يخرج من الغرفة هو أن الغرفة ليس بها شرفة من الأساس، ولا شباك صغير ليخرج منه فخرج سمير مسرعًا نحو المقابر بينما نزل عمر وجلس مع مازن وصلاح يتحدثون عما إذا كان من الممكن التحدث إلىٰ سليم أم لا؛

ذهب عمرعلىٰ مضض لكي يحضر أخاه، بينما أخذ الشيخ «صلاح» يتفحص الرسومات فتفاجأ من الرسمة الأخيرة التي لم يرها الضابط سمير قبل ذهابه، كانت عبارة عن مقابر بها وصف

دقيق، وأسماء الموتىٰ علىٰ قبورهم، قد كُتبت بخطٍ صغير لايكاد يرىٰ بالعين المجردة وماجعله في صدمة هوأن القبر الذي وضع عليه علامة خطأ هو قبر رجل الأعمال منصور«الراشد» الذي تحدث عنه الضابط «سمير» قبل ذهابه، أخذ مازن الرسمة ولحق بسميردون أن ينتظرعمر

عندما وصل إلىٰ المقابروجد موقع القبرهوذاته الذي رسمه سليم الأبكم بخط يده فاقترب مازن من الضابط ووقف بين رجال الشرطة وهو يقول:

- أريدك في أمرٍمهم للغاية.

رجع سميرإلىٰ الوراء وهو يقول بصوت منخفض:

- ليس الآن، أنت ترىٰ اللواء يقف معي، انتظرقليلًا.

جلس مازن بجوار إحدىٰ المقابر وهو ينظر إليه فاستأذن سميراللواء وتقدم بخطوات سريعة نحو مازن وهو يقول: أخبرني ما الأمر، إذًا؟.

أخرج الورقة التي رسم عليها سليم الأبكم وهو يقول:

- ترَ هذه الرسمة؛ تشرح لك ما أتحدث عنه.

أمسكها وأخذ يتفحصها، ثم التفت إلىٰ القبر الذي سرقت منه جثة رجل الأعمال وهو يقول:

- هل الأبكم من رسمها؟

أومأ مازن برأسه وهو يقول:

- أنت لم تلاحظ المكتوب علىٰ القبور.

-صحيح..، هذا وصف دقيق للمكان الذي نقف به الآن.

فرجع ينظر إلىٰ الورقة مرةً أُخرىٰ، وبتمعن، فلاحظ اسم رجل الأعمال الذي وضع علىٰ الباب من الخارج... كان في دهشة... كيف يكون الأبكم هو من سرق الجثة في حين أنه لم يخرج من المنزل من الأصل؟!، يبدو أنها ستكون قضية الموسم إذا،

التفت إلىٰ مازن وهو يقول:

أريد منك أن تحضر لي كل الرسومات التي يرسمها هذا الشخص، لابدّ وأن ثمة شيء ما وراءها.

ثم تركه ومضىٰ في طريقه، لم يكتفِ مازن بذلك بل سعىٰ لأن يذهب إلىٰ موقع الحادثة التىٰ قد تعرض لها وائل، ووالده «عبدالرحمن»، وراحا ضحيتها، وهنا صعق عندما علم بأمر العلامات التىٰ تترك علىٰ أجسام الجثث... علامة تبدو فرعونية تركت أيضا علىٰ جثة وائل ووالده، رجع مازن إلىٰ منزل الشيخ «صلاح» ليخبره ماحدث، ولكن تفاجأ بحديث صلاح عن الأبكم، وماحدث عندما جلس معه!.

كان يجلس الشيخ صلاح في منزله حتّىٰ سمع الباب يُطرق؛ فإذا به مازن قد أتىٰ مسرعًا ليخبره بما علم، وأيضًا ليعلم منه إلاما ترمز هذه الكلمات الفرعونية التي استطاع أن يتحصل عليها من أعلىٰ أجسام الجثث التي قد تحدث عنها الضابط «سمير».. حقًا، كانت تحتاج إلىٰ خبيرفي الآثار لكي يستطيع حلها،

أخبره صلاح إنه أيضًا أخذ باله من الرسومات التي يرسمها الأبكم (سليم)؛ فهي رسومات توحي بعدم الاطمئنان والريبة والشك تجاه (سليم) ومايفعله فقال مازن:

- المريب في الأمر أنني حقًا سمعته يتحدث والطبيب أثبت أنه أبكم!، وهولايدعي ذلك فكيف، إذن!؟.

- سنعلم الحقيقة، لاتقلق، وأظن أن الأمر بدا واضحًا للضابط «سمير»، أرىٰ في عينيه الشك تجاه سليم.

- أتمنىٰ من الله ذلك؛ لأنني لم أعد أطمئن علىٰ الجثث التي تسرق هذه الأيام وأخشىٰ أن تسرق جثة أمي، بالتأكيد لن أسامح نفسي.

- الأمرليس بيدك يامازن، غيرأن الجسد بالٍ، لاتشغل عقلك بهذه الأمور، صدقني، لن يحدث شيء، أنا متأكد من أننا سنعلم من وراء كل هذا في أقرب وقت.

- حسنا، أستأذنك.

- إلىٰ أين ستذهب؟.

- سأذهب إلىٰ قبر أمي، أريدأن أتحدث معها بعض الوقت.

ربت علىٰ كتفه:

- هكذا هي الدنيا، أسأل الله أن يرحمها.

-اللهم آمين.

توجه مازن إلىٰ المقابربعد صلاة الظهرمباشرةً وعندما وصل كانت الساعة الثانية، ولج المقابر وكالعادة لم يجد بها أحدًا،

بحث عن الشيخ «عزيز»، ولكنه لم يجده فتوجه نحو قبر أمه، وجلس يتحدث معها وكأنها تجلس أمامه، سقطت من عينيه دمعة ساخنة بعض الهواء قد رطبها حتىٰ تلاشت وهو يذكرها بدعائه الأخير؛ كما تعود أن يقرأ لها ما كانت تحب أن تسمعه بصوته من الآيات، لم تمر لحظات حتّىٰ تسلل إلىٰ أذنيه صوت بكاءٍ شديد؛ فإذا بالصوت يعلو أكثر فأكثر، فقام متجهًا نحو مصدر الصوت بخطواتٍ بطيئة وهو يختلس النظر فوجد فتاةً جميلةً تجلس أمام قبر وهي تبكي بكاءًا مريرًا، لم يكن يريد الاقتراب؛ لأنه يعلم أن الخوف سيتملكها ومن الممكن أن تصرخ ظنًا منها أنه يريد الاعتداء عليها، ولكن بكاؤها ما دفعه لكي يكمل طريقه نحوها وهو يلقىٰ التحية من بعيد لكي لايتسبب في فزعها،

لم تسمعه رغم أن الصوت كان عاليًا ويبدو أن التفكير قد طغىٰ علىٰ سمعها حتىٰ اقترب منها وهو يقول:

- هل أنتِ علىٰ ما يرام؟.

رفعت رأسها في فزع وأخذت ترجع إلىٰ الوراء وهي تمسح دموعها بيدها، رجع مازنً إلىٰ الوراء أيضًا رافعًا يده وهو يقول مطمئنًا لها:

- أنا لا أريد أذيتك، فقط، سمعتك تبكين.

شعرت من حديثه ونظراتهِ أنه لا يكذب عليها، فجلست وهي تكمل الدعاء دون الالتفات إليه، مما جعله يتعجب، جلس بجوارها منتظرًا انتهاءها، وهو ينظر إلىٰ القبر فلاحظ اسم صاحب هذا القبر «المتولي مسعود الشبراوي». لم يكن يعلم أهو والدها أم ماذا؟، حتّىٰ انتهت من دعائها فقال معتذرًا عن إخافتها:

- أعتذر لك، علىٰ ماجرىٰ.

ردت عليه:

- لا تعتذر، أنت لم تفعل شيئًا، أشكرك علىٰ السؤال.

نظراتها وطريقة حديثها كان بهما شيء غريب، شيء يجعله يهتم لأمرها وينصت جيدًا لحديثها، رغم أنه لا يعرفها ولم يتعرف عليها إلا منذ دقائق، قلبه الذي لم يطرق ولو لفتاة واحدة، أصابته اللعنة دقاته تسمع من الخارج، ارتباكه بدا ظاهرًا علىٰ ملامحهِ، وهو ينظر إلىٰ عينيها اللتين تقام لها حربٌ ويؤسر لها جيشٌ، لكن ماجعله يفيق من حلمه هذا هو حين سمعها تقول:

- أنا سمعت عن سرقة الجثث في المقبرة، وأخشىٰ علىٰ أبي.

دموعها التي لم تنقطع، وظلت تتساقط مثل الأنهار... ما دفعت لكي يكمل حديثه معها وهو يطمئنها:

- لاتقلقي، الشرطة تبحث في الأمر ولن تسرق جثث بعد اليوم، اللص الذي فعلها، بالتأكيد، هو يعلم الآن أن الشرطة تطارده ولن تتركه يفلت بفعلته؛ لذا أظن أنه لن يستطيع فعلها مرةً أُخرىٰ، أوعلىٰ الأرجح في نفس المقابر.

ردت عليه وكأنها تعلم شيئًا وتخفيه:

-الأمرليس سرقة طبيعية كما تظن، أنا رأيت بعيني جثة لرجل عجوز ملقاة في الطريق ليلة أمس، كانت عليها علامات لم أفهمها.

انتفض جسد مازن كالذي أصابته الكهرباء:

- أين هي الجثة؟

- رجال الشرطة قد أخذوها، يبدو أنه كان يريد سرقتها ولم يفلح معه الأمر... أنا أعلم لمَ يحدث كل هذا، ولكن...

فقاطعها متعجبًا منها وهو يقول:

-ولكن ماذا؟

نظرت خلفها في خوف وترقب، وهي تقول بصوت منخفض لا يكاد يسمع:

- لا تدعه يكمل العدد، أرجوك لا تتركه يفعلها.

- من تقصدين؟، وعن أي عدد تتحدثين؟.

اعتدلت، وأخذت تخرج دون أن ترد عليه؛ مما جعله يقف في ذهول، ثم أسرع خلفها، وجذب يديها بقوة وهو يقول:

- توقفي، وأخبريني ماذا تقصدين؟.

التفتت إليه وهي تنظر خلفه وكأنها تخشىٰ من شيء:

- ستعلم، ولكن لا أستطيع إخبارك، الآن، أنا سأذهب.

ظل ينظر إليها نظرة تعجب، وظلت التساؤلات تدور في رأسه، من هذه الفتاة؟ وماذا تعلم عن سرقة الجثث؟.

لم تقف أمامه كثيرًا وأسرعت خارج المقابر، تركها عائدا إلىٰ القبر الذي كانت تجلس بجواره ليعلم من أي عائلة هي، فسمع صوت أقدام تقترب؛ فإذا بثلاثة أشخاص وجدهم يقتربون منه وجلس أحدهم بجواره يسأله:

- لمَ تجلس هنا؟.

تعجب من سؤاله قليلًا فاعتدل وهو يقول:

- كنت أدعواالله لهم.

- وهل تعرف من بهذا القبر؟

-لا، ولكن كانت هناك فتاةٌ تجلس هنا وهي تبكي، يبدو أنها ابنته

نظروا إليه بغرابة، وهم يتهامسون بينهم فلاحظ مازن الوضع المريب هذا، فقال سائلًا:

- من أنتم؟

- نحن أبناء المتوفىٰ.

علم لمَ ذهبت الفتاة مسرعة، يبدو أنها كانت تعلم أن أشقاءها سيأتون، فقال:

- والفتاة التي كانت هنا هي شقيقتكم، أليس كذلك؟.

رد عليه أكبرهم الذي تقدم وجلس بجوار مازن قائلًا:

- لا، أبي لم ينجب غيرنا قبل وفاته!.

تعجب من حديثهم وهو يسأل نفسه... كيف لم ينجب والفتاة التي قابلها منذ لحظات من تكون؟!. ولمَ كانت تجلس بجوار هذا القبر طالما ليس والدها؟، يبدو أنها تعلم الكثير عن سرقة الجثث، ولمَ لا تكون هي من تسرق الجثث من الأساس؟!.

تركهم في ذهول منهم مسرعًا دون أن يكمل معهم الحديث، وذهب إلىٰ المكان الذي يمكث فيه الشيخ «عزيز» فلم يجده، ظل جالسًا وهو ينتظر قدومه، وما إن مرت دقائق حتىٰ وجده يحمل جردلا ويسقىٰ به الزرع، فقام مسرعًا وطلب منه أن يتحدث معه، أدخله الشيخ «عزيز» إلىٰ المبيت وهو يقول:

- ماالأمر ياولدي، .. ولمَ وجهك شاحب هكذا؟

- الفتاة، ياشيخ عزيز... الفتاة.

- أي فتاة؟!

-لقد رأيت فتاة منذ ساعة هنا، وجدتها تبكي بجوار قبر رجل يدعىٰ «المتولي»، وقالت لي أشياء عجيبة، كانت تخبرني أنها تعلم الحقيقة.

- حقيقة ماذا؟

- حقيقة سرقة الجثث. وأخبرتني أنها ابنة صاحب هذا القبر، ولكن تبين عكس ذلك فأولاد الرجل قد أتوا وأخبروني أن أباهم لم ينجب فتاة من الأصل، فمن تكون، إذن؟!.

جلس الشيخ «عزيز» وهو يقول:

- اهدأ، وصف لي الفتاة، كيف تبدو؟.

- هي فتاة جميلة، وما يميزها لون عينيها الزرقاوين، وهي نحيلة الجسد، وفوق حاجبيها توجد حبة سوداء، وأخرىٰ بجوارفمها.

وظل يصف فيها... حتّىٰ قام الشيخ «عزيز» وهو يقول:

- هذا الوصف قريب من...



الفصل السابع
لم يكمل كلمته

جلس الشيخ «عزيز» وهو يقول:

الوصف الذي وصفتهُ لتوك ياولدي، لفتاةٍ واحدة وهي ابنة... لم يكمل كلمته حتىٰ وقع مغشيًا عليه دون أن يقترب منه أحد، هز مازن جسده محاولًا إفاقته، ولكن لم يفلح، قام ليحضر سيارة كي تنقله من المقابر، بينما كان صلاح يجلس في منزله أمام الحاسوب، وقد أخذ بعض الصور للكتابة الفرعونية التي حاول أن يفك شفرتها، فأرسل صورة لصديق له علىٰ موقع التواصل الاجتماعي «الفيسبوك» بها صور لجثة وائل ووالده «عبد الرحمن» والكلمات الفرعونية محفورة علىٰ أجسامهم بآلة حادة؛ كان غرضه أن يعلم إلاما ترمز هذه الكلمات، رد صديقه عليه أنها تعني (بشكروش ملك العروش تحرر قوته عند الجثة ٥٥).

فسأله:

- هل تعلم من هو بشكروش هذا؟.

كان رده:

- لم أسمع بهذا الاسم من قبل، ولكن أعطني بعضًا من الوقت، وسأعلم إلىٰ أي أسرة ينحدر... إذا كان موجودًا من الأساس.

لم يكتفِ «الشيخ صلاح» بسؤال صديقه، وانتظار الإجابة، فأراد أن يتأكد بنفسه من شيء، فأخذ يبحث في محرك البحث «جوجل»، وكتب اسم (بشكروش)، وكانت المفاجأة أن بشكروش هذا أسطورة قديمة كانت تحكىٰ عن رجل

يدعىٰ (بشكروش) أتىٰ في عهد الملك «إخناتون» أثناء حكمه وهو من تسبب في قتل ولده (توت عنخ آمون)؛ ومن ثمة حصل علىٰ عصىٰ ثمينة جدًا، كان يخبأها (توت عنخ) لم يعرف مكانها أحد حتىٰ الآن، وقتها خرجت ثورة من الكهنة للقضاء عليه، واستطاعوا أن يلعنوهُ بلعنة الآله (آمون رع)، وسُجن في مقبرة إلىٰ الأبد، ولم يُذكر اسمه علىٰ التابوت ولا توجد نقوش تؤكد هذه الأسطورة؛ فما هو إلا أسطورة لم تُكشف حقيقتهَا حتّىٰ يومها هذا.. اللعنة التي سُجن فيها كانت تتمثل في مفتاح قديم أُغلق به التابوت، ومن يستطع إيجاد هذا المفتاح الثمين؛ يستطع وقتها إبطال اللعنة وفكها، وتحريره من مرقده الأبديّ، الأسطورة تقول إنه لن يخرج إلىٰ العالم إلا عندما يتم كتابة اللعنة علىٰ جسد ٥٥ جثة، وتقطع رؤوسهم، ويكتب علىٰ أجسامهم التعويذات التي ستخرجه من سباتهُ العميق، ليخرج في جسد المختار.

أخذ يبحث أكثر فأكثر حتّىٰ وجد أن الطلبات التي تطلبها هذه الروح غير طبيعية؛ ومن المستحيل أن يجد أحدًا تنطبق عليه هذه المواصفات، فأسرع صلاح وارتدىٰ ملابسه ذاهبًا إلىٰ منزل مازن ليخبره بالأمر، ولكنه تذكر عندما أخبره أنه سيذهب إلىٰ قبر أمه، فذهب إلىٰ المقابر مسرعًا ليحذره مما علم، حتىٰ وصل

فدلف المقابر، وقعت عيناه علىٰ منظر مروع... رأىٰ مازن يقف بجوار جثة الشيخ «عزيز» فاقترب منه محاولًا أن يعي ما يجري حوله وهو يقول:

- ما الذي جرىٰ؟!. كانت الدماء تسري من جسد الشيخ «عزيز» بغزارة، ويد مازن مغرقة بها، وهو يقول نافيًا قتله:

-أنا لم أقتله، صدقني، أنا سألته، فقط، عن شيء، وقبل أن يجيب عليّ وقع مغشيًا عليه، هرولت لأحضر النجدة فلم أجد أحدًا، رجعت إليه وجدته هكذا، يبدو أن أحدًا ما كان يخشىٰ أن يتفوه بشيء ما...، صدقني، لم أقتله!.

جذب يده الشيخ «صلاح» وهو يقول:

- هيا، ماذا تنتظر؟، الشرطة ستأتي في أقرب وقت، ولن تستطيع أن تثبت أنك بريء من قتله، هيا.

علىٰ صوت مازن وهو يقول:

- لن أتركه، هو ما زال علىٰ قيد الحياة، من الممكن أن ننقذه، فجثا صلاح علىٰ ركبتيه وهو يتحسس نبضه، وتبين له أنه لم يفارق الحياة بعد، فرفعه علىٰ كتفه وأخذا يخرجان به من المقابر دون أن يراهما أحد، ووضعاه في السيارة متوجهين به إلىٰ المشفىٰ، وعندما وصلا أدخلاه قسم الطوارىٰء، بعدها بساعات قد مرت، أتىٰ رجال الشرطة، علىٰ رأسهم الضابط «سمير»، أصبح الشك يتسلل إلىٰ قلبه تجاه مازن والشيخ «صلاح»، وظل يتصاعد هذا الشك حتّىٰ بدا واضحًا من نظراته ونبرة صوته، وهو يقول:

- لِمَ فعلت ذلك؟.

رد عليه بحدة نافيًا ومستغربا ظنه هذا:

- أنا لم أقتل أحد... لو كنت أنا لمَا أتيت به إلىٰ المستشفىٰ لإنقاذه.

قاطعه الضابط «سمير» قائلًا:

- أنت جلبته إلىٰ هنا فقط لكي تنفىٰ عنك التهمة، وأنا كنت سأضعك تحت دائرة الشك، ولكن أريد أن أعرف هل صلاح كان معك من البداية..؟، أخبرني الحقيقة، ولا تتلاعب بي.

شرد مازن قبل أن يجيب عليه، وهو يفكر ما الذي يدفع سمير لكي يظن فيه هذا الظن وتعطيه القوة التي تكمن في حديثه وكأنه علىٰ يقين مما يقول، وممن قتل الشيخ «عزيز»!؟... ثم التفت وهو ينظر إلىٰ عين سمير موضحًا له:

- كل ما في الأمر هو أنني أتيت إلىٰ المقابر الساعة الثانية، وسمعت بكاءًا شديدًا آتيًا من ناحية المقابر المجاورة لقبر أمي، وعندما اقتربت وجدتُ فتاة لم أرها من قبل كانت تجلس بجوار قبر رجل يدعىٰ «المتولي»، هدأت من روعها لكي تكف عن البكاء، وعلمت منها أنها ابنة هذا المتوفي، ولكن العجيب فيها أنها كانت تتحدث معي علىٰ أساس أنها تعلم ما يحدث في المقابر، كانت خائفة جدًا لدرجة أنها تركتني وذهبت مسرعة، بعدها بدقائق أتىٰ ثلاثة رجال رأيتهم يتجهون نحوي، وجلس أحدهم بجواري، وهو يسألني لمَ أجلس هنا... علمت أنهم أبناء

هذا المتوفي أيضًا، والصادم بالنسبة لي هو عندما علمت أن أباهم لم ينجب فتاة من الأصل، والتي رأيتها قبل أن يأتوا لم تكن شقيقتهم كما ادعت هي، بل كذبت عليّ...

فقاطعه الضابط «سمير» قائلًا:

- لذا ذهبت إلىٰ الشيخ «عزيز» لتصف له الفتاة، أليس كذلك؟

رد عليه:

- هذا كل ما حدث بالفعل، أنا لا أكذب عليك، أخبرت الشيخ «عزيز» بما حدث، وقبل أن يتفوه بكلمة، وقع مغشيا عليه، فهرولت لكي أحضر له النجدة، فلم أجد أحدًا بالخارج فرجعت إليه مسرعًا، فوجدته قد قُتل والدماء تسيل من جسده.

قاطع حديثهما صلاح الذي ظل صامتًا دون أن يتحدث، ولكنه قرر الخروج عن هذا الصمت والبوح بما يكتم؛ فقال:

- أنا أمتلك معلومات قد تغير مجرىٰ هذه القضية، وأستطيع أن أقول إننا في وقت قصير سنجد حلًا لهذا اللغز، وسرقة الجثث التي لا تفسير لها حتّىٰ الآن، ومن تسبب فيما جرىٰ للشيخ «عزيز».

رد عليه سمير:

- وأنا كلي آذان صاغية، هيا، تحدث.

- الأمر لا يقتصر علىٰ السرقة ومقتل عزيز بل أكبر من ذلك بكثير، تعلم، الكلمات التي توجد علىٰ الجثث تعني شيئًا واحدًا، وأتمنىٰ ألا يكون هو ما أفكر به...

قال سمير بفضول قد طغىٰ عليه:

- وما هو؟ هيا، لا أريد هذه الألغاز.

- هناك رجلٌ يسعىٰ لتحرير لعنة... لو خرجت من سكونها إلىٰ هذا العالم؛ فستدمره، لعنة ستقضي علىٰ الأخضر واليابس معًا.

قال الضابط «سمير»:

- أي لعنة هذه؟ اجعل حديثك أوضح من ذلك؟

جلس الشيخ «صلاح» وهو يتابع حديثه:

- الجثث التي سرقت من المقابر ما هي إلا قربان لتحرير اللعنة.

ضحك سمير ساخرًا منه:

-هل تصدق ما تقوله؟... ما تقوله لا يصدقه طفل في الرابعة من عمره، فكيف لي أن أصدق؟.

رد عليه:

- أنت تظن أننا وراء كل ما يحدث؛ لذا لن تصدق، ولم تعطِ لعقلك بعضًا من الوقت ليفكر في الرسومات التي يرسمها سليم التي تنطبق علىٰ ما حدث وما يحدث وما سيحدث بعد ذلك؛.. تذكر ليلة أن ذهبت لكي تلقىٰ نظرة علىٰ قبر رجل الأعمال الذي سرقت جثته، وقتها كان سليم قد رسم القبر ووضع اسم الرجل أيضًا، ووضع علامة خطأ تعني أنها ستسرق، وأظن أن مازن قد ذهب إليك، وجعلك تشاهدها بعينيك، رغم أن سيلم الأبكم لم يخرج من غرفته، ومع ذلك سُرقت، وهو يعلم بأمر الجثة، وما جعلني أربط كل هذا بخيط واحد هي الكلمات التي

توجد علىٰ أجسام الضحايا والجثث معًا، وجثة «عبد الرحمن» وولده... هل تعلم ماذا تعني هذه الكلمات؟

رد عليه وهو يفكر:

- لم نجد تفسيرا لها، لا أعلم ماذا تعني، ولكن أرسلناها إلىٰ خبير في اللغة الفرعونية، ولم يجب علينا، قال إنه يحتاج بعض الوقت...

قال الشيخ «صلاح»:

- لقد حصلت علىٰ صورة لجثة «عبد الرحمن»، ولا تسألني كيف حصلت عليها، الغريب في الأمر أن صديقي الذي يعمل في هيئة الآثار أخبرني أنها تعني

(بشكروش ملك العروش تحرر قوته عند الجثة ٥٥)

قال متسائلًا: ومن «بشكروش» هذا؟

- هو ملك قديم قد لعنت روحه وقوته، ودفن حيًا؛ لأنه كان يفسد في الأرض، غير أنه تسبب في مقتل ابن إخناتون «توت عنخ آمون»، والمريب في الأمر أن الذي يوكل في تحرير روحه؛ لابدَّ أن يضحي بأولاده قربانًا له، ثم بعد ذلك يكمل عدد الجثث التي يكتب عليها هذه الكلمات...

رجع سمير قليلًا إلىٰ الوراء وهو يفكر ووضع يده علىٰ رأسه من شدة التفكير قائلًا:

- ما الذي يثبت صحة حديثك؟.

- ما يحدث حولك... ألم تلاحظ الغموض الذي يكتنف هذه القضية واختفاء الجثث؟، أنا علىٰ يقين أن الجثث تخبأ في

مكان ما، ولعلمك بشكروش هذا لو حررت روحه لن يستطع أحد التصدي له، لقد بحثت عنه فما وجدت غير أسطورة تحكي كل هذا، وتتكلم عن مفتاح قد سرق من المعبد في الأقصر، وهذا المفتاح هو الذي سيحرر اللعنة عند الانتهاء من الـ٥٥جثة.

قال سمير:

- لو سلمت جدلًا لما تقولونه؛ لكان المشتبه به تحت يدي الآن، كل رجال الشرطة الذين يراقبون المقابر لم يروا أحدًا يدخل إليها في هذا الوقت غيركما؛ فهل لديكما تفسيرٌ واضحٌ لهذا الأمر؟.

قال مازن محذرًا:

- ما تتعامل معه ليس مجرما عاديًا كما تظن، بل هو شخص ذكيّ، يعلم ماذا يريد، وأظن أن رجلًا يضحي بأولاده...، بالتأكيد، لن يكون التعامل معه يسيرًا؛ لذا لم يكشف أمره حتّىٰ الآن، وأظن أن الجُثث لا تخرج من المقابر أصلًا، من الممكن أن يكون هذا الرجل يختبئ في المقابر...

بعد أن انقضىٰ حديثهم ظلّ الجميع في قلقٍ دام أكثر من ساعتين... حتّىٰ خرج عليهم الطبيب معلنًا وفاة الشيخ «عزيز»، هنا قد قطع الخيط الذي تشبث به مازن وصلاح معًا، فاستدار إليهم سمير وهو يقول بحدة زادت من توترهم:

- سيتم تشريح الجثة ومعرفة الآلة المستخدمة في قتله، ورفع البصمات علىٰ أمل أن أجد دليلًا قويًا، ولو تبين لي أنكما

من وراء هذا الأمر؛ فلن أدعكما تفلتا بفعلتكما هذه، هل سمعتم؟، ثم تركهما وذهب...



في منزل عثمان يجلس عمر وهو في دهشة مما يراه، فقد رسم سليم الأبكم عدة رسومات تصف الفتاة التي قد رآها مازن في القبر، فأخذ قلمًا وأخفىٰ ملامح وجهها، واتصل بمازن وأخبره بما رسم أخوه، فتحرك مازن مسرعًا بصحبة الشيخ «صلاح»، وما إن وصلوا إلىٰ المنزل حتىٰ وجدوا سليم الأبكم ينظر من النافذة محدقًا النظر بتمعن إليهم، يبدو أنهم قد نقلوه إلىٰ الغرفة المجاورة، كانت نظراته تخفي أشياء كثيرة وبها لمعة أوقعت بقلب مازن الرعب، اقترب الشيخ «صلاح» و طرق الباب بخفة، خرج عمر ثم أجلسهما وأحضر الرسومات التي قد رسمها سليم، أخذ مازن يتمعن فيها ولاحظ طمس وجه الفتاة، علم حينها أنها الفتاة التي قابلها، هي من كان يقصدها سليم في هذه الرسمة، فشارك الشيخ «صلاح» النظر وهو يقول:

- انظر إلىٰ هذه الفتاة... هذا ما أخبرتك به، انظر إلىٰ تلك المقبرة المكتوب عليها «المتولي»، أنا سأجن كيف عرف كل هذا وهو لا يخرج من المنزل بتاتًا؟!.

لكن ما لفت انتباه الشيخ صلاح لم تكن رسمة الفتاة التي قد طُمس وجهها، بل هي الأسماء التي قد كتبت بترتيب علىٰ أبواب المقابر، وما جعله يقف كالذي لدغه ثعبان هو رسم المفتاح الذي

سُرق من معبد الأقصر... المفتاح الذي سيحرر اللعنة كما قالت الاسطورة فقال:

- ما تحدثت عنه الاسطورة لم يكن محضًا من الخيال، ألا ترىٰ هذا المفتاح؟، هذا ما أخبرتك عنه، المفتاح قد تم إخفاؤه في المقابر إلىٰ أن يتم تحرير اللعنة، وتقطيع رؤوس الجثث!.

جلس بينهم عمر وهو لا يدري عن أي شيء يتحدثون؛ فقرر أن يقاطعهم لكي يعي ما يتحدثون عنه:

- عن أي مفتاح تتحدثون؟!

أردف الشيخ «صلاح» قائلًا:

- هناك أسطورة تكلمت عن هذا المفتاح... أنه من سيحرر اللعنة، ويبدو أن أخاك يعلم الكثير عن هذا الأمر...

قال مازن معللًا ما يحدث:

- تعلم، يا شيخ صلاح، أظن أن الروح الملعونة هذه هي من تسيطر علىٰ سليم؛ لذا هي من تخبره بما يحدث وهو لا يستطيع التحدث؛ لذا يرسم لنا...

قاطع حديثه عمرُ قائلًا:

- ولمَ تخبرنا بالحقيقة، وتقربنا لاكتشاف ما يحدث طالما هذا الأمر ليس في صالحها؟ وأيضًا، أخي يكتب ويقرأ، لمَ لا يكتب لنا بدلًا من الرسم؟.

- هذا ما يشغل تفكيري الآن.

جذب الشيخ «صلاح» يد مازن وهو يقول:

- هيا، ليس لدينا وقت.

- إلىٰ أين سنذهب؟

- إلىٰ المقابر، لابدَّ وأن نعثر علىٰ هذا المفتاح قبل أي شخص آخر، هيا.

ذهبا بينما ظل عمر جالسًا في ذهول، وصلا إلىٰ المقابر؛ فإذا بمازن قد أخذ معه الرسومات، وظل يتبع الخريطة التي قد رسمها سليم وبالفعل وجد ما رسمه صحيحًا ودقيقًا للغاية، اقترب إلىٰ المكان الذي رسم فيه المفتاح الملعون... كان هو ذاته قبر «المتولي» الذي كانت تجلس بجواره الفتاة المجهولة، ظن وقتها أن هذه الفتاة هي من تسرق الجثث، وهي أيضًا، من قامت بإخفاء المفتاح هنا!،

لكن لا يوجد دليل قاطع حتّىٰ الآن علىٰ هذا الأمر؛ نظر مازن إلىٰ القبر المغلق بإحكام؛ فأولاد الرجل قد علموا بسرقة الجثث لذا قاموا ببناء حائط قوي وبه باب صغير جدًا صنع من الحديد المقوىٰ؛ فمن المستحيل أن تجتاز هذا الجدار حتىٰ تحطمه، ذهب الشيخ «صلاح» لإحضار شيء ليستطيع تحطيم هذا الجدار به، ظل مازن ينتظر حتىٰ عاد إليه الشيخ «صلاح» وقد أحضر أحد الرجال، ظل يطرق بالمطرقة الحديد علىٰ الجدار حتىٰ استطاع أن يحطمه بالكامل في ساعة قد مرت؛ فأعطاه الشيخ «صلاح» بعض الأموال ثم غادر الرجل المقابر متجهًا إلىٰ قسم الشرطة، فقد ظن الرجل أنهما هما من يسرقان المقابر؛ لذا نفذ ما طلباه منه دون تردد - خوفًا منهم-، وعزم بعدها علىٰ أن يبلغ الشرطة، وهنا يكون قد استفاد وفعل الصواب.

حطم مازن القفل الذي علىٰ البوابة الصغيرة، وهو ينظر إلىٰ الشيخ «صلاح» قائلا:

- هيا، هل ستنزل، أولًا؟.

- إن كنت تخشىٰ النزول؛ فلا تفعل، ودع الأمر لي.

تبسم مازن وهو يقول:

- بعد كل هذا العناء أتراجع؟، هل تمزح معي؟.

نزع الخوف خارجًا قبل الولوج إلي القبر، وضع قدميه وهو يتحسس موقفه، وأضاء الكشاف الذي بحوزته، يبحث بطريقة عشوائية حتىٰ عثر بيديه علىٰ قطعة قماش ملفوفة ببعضها، فتحها مازن وهو يحاول التأكد من أنها هي المفتاح الذي يبحث عنه وكان هذا بالفعل، أخذه منه صلاح وهو ينظر إليه قائلًا:

- لقد رأيت له صورة علىٰ «النت» هو ذاته، يبدو أننا قد اقتربنا من كشف حقيقة الدجال الذي يسعىٰ وراء اللعنة...

نظر إليه مازن وهو يقول:

- هيا، ماذا ننتظر؟

خرج صلاح، أولًا، وهو يحمل المفتاح بيديه، بينما يحاول مازن الخروج من القبر، سمعا صوت سيارات الشرطة العالية، علم وقتها أن أحدًا ما قد أبلغ عنهم، وبالتأكيد، سيظنون أن مازن وصلاح هما من كانا يسرقان الجثث

فأخذ الشيخ «صلاح» بيد مازن قائلًا:

- هيا، تستطيع فعلها.

وقع مازن أسفل القبر وهو يقول:

- لقد علقت قدمي، اذهب أنت بالمفتاح، أسرع، أرجوك، أنت من سيبطل اللعنة، هيا، لا تنتظر، سيقبضون عليك.

أسرع الشيخ «صلاح» واختبأ في المزارع التي بجوار المقابر حتّىٰ وجدهم يدخلون المقابر ففر هاربًا منهم ولم يستطع مازن الفرار فقبض عليه؛ وقتها لم يستطع سمير أن يتركه ولا أن يصدق حرفًا مما قاله فأخذه وذهبوا، كانت نظرات مازن كلها خيبة أمل، لم يصدق سمير أن مازن من فعلها؛ رغم أن شكه كان يتصاعد تجاهه ووضعت القضبان بين يديه، وهو غير مصدق لما يجري حوله، حاول أكثر من مرة التحدث مع سمير، وشرح ما حدث لكنه لم يدعه يتحدث، وظل سمير يعنفه قائلًا:

-أنا المخطئ من البداية كان لابدَّ وأن أعلم أنك من تفعل كل هذا، ولكن لمَ... لمَ تدمر مستقبلك؟ لمَ تتسبب في قتل صديقك ووالده؟ هيا، أخبرني، لمَ تفعل كل هذا؟!

حانت الفرصة ليتحدث، ولكنه لم يستطع؛ فهو يعلم علم اليقين أن سمير لن يصدق حرفًا واحدًا مما سيقوله؛ لذا كان الصمت مرحبًا به وقتها، أمر الضابط سمير بعرض«مازن عدنان السيد» علىٰ النيابة في صباح الغد، ثم أخذه الشرطي ووضعه في السجن بين جدران كادت تضيق علىٰ أنفاسه وهو ينظر إلىٰ أشعة الشمس التي تحاول الدخول إليه؛ وكأنها تخبره ببصيص أمل... لابدَّ وأن يخرج وينسلخ من العتمة ضياء يضيء...

الأمل في القلوب... وأن تسجن وأنت مظلوم تدافع عن حقٍ لهو الفوز العظيم.

لم يكن بجواره غير رجل عجوز يجلس وهو لا يتكلم فاقترب منه مازن وهو يقول:

- ما هي قضيتك التي أتيت بسببها إلىٰ هنا؟

تبسم الرجل وهو يقول:

- هل يهمك الأمر؟

فرجع مازن إلىٰ الوراء وهو يشعر بالإحراج، وأسند ظهره علىٰ الحائط وهو يشرد بذهنه، حتىٰ سمع الرجل العجوز يقول:

- أشياء لا نراها بأعيُننا لكنّ القلب يشعر بها، وما خُلقَ النّور إلا من رحِم الظلام حتّىٰ انسلخ منه؛ فلا تقلق.

اعتدل وهو ينظر إليه في دهشة كيف له أن يتفوه بهذه الكلمات وهو يبدو عليه أنه رجل أمّيٌّ لا يجيد القراءة والكتابة؟!، فقال:

- يبدو عليك أنك رجل مثقف، فلمَ أتيت إلىٰ هنا؟

- البشر.

- ماذا فعلوا لك البشر؟

أعاد كلمته وهو يقول:

-البشر دائمًا يدّعون الرّحمة والإنسانية وهُم عكسُ ذلك ياولدي، فالشر يجري في عروقهم مجرىٰ الدم واللعنة هي من تُطهّرهم ياصديقي، دعهم يواجهون مصيرهم المحتوم!



الفصل الثامن

السجن

أوجسَ منهُ خِيفةً وانطلق مبتعدًا عنه، ومتبوعًا بنظرة تمعُن، وتسارعت نبضاتُ قلبهُ حتّىٰ كادت أن تُسمع من عنقه، جلس الرّجل العجوز ولم يتحدث، وظلّ مراقبًا له من تحت عويناته، وهو يمسك كتابًا يقرأه، وكأنه قد صرف النّظرعن الحديث معه، كلّ ما كان يشغل بال مازن آنَذاك هو أن هذا العجوز يعلم شيئًا عن سر المقابر، حاول أن يتقوّىٰ علىٰ خوفه، ويقتربُ منه ليعلم ماذا يقصد، لكن جسده بدأ بالارتجاف بطريقة ملحوظة غير الرعشة التي أصابتهُ بالقشعريرة، لا يعلم كيف يُوقفها وكأنّ جسدهُ أصبح ملكًا لأحد غيره!، الكلمات ظلّت عالقةٌ في فمهِ، وهو ينتظر أن يبدأ الرجل في الحديث ليقطع هذا الصمت، مازال الرجل يحترف الصمت حتّىٰ ران عليهم؛ وكأنّ ألسنتهم قد لجَمتها اللعنة، لمح مازن أوردة العجوز بارزة، ونافذة تكاد تُوشك علىٰ الانفجار، بينما رائحة غير مألوفة قد عمت الحجز.. شعر حيالها بأن جسده قد تسمّر في مكانهِ لا يقوىٰ علىٰ الحراك، وبدأ يفقد الوعي تدريجياً حتّىٰ أغمىٰ عليه، وما إن أفاق سمع أمين الشرطة وهو ينادي عليه بحدة، ثم وكزه من كتفه وهو يقول:

- هيا، استيقظ، الضّابط «سمير» يُريدك.

قام معه وعينه تدور في أرجاء الغرفة مستغربًا، أين قد ذهب الرّجل العجوز الذي كان يمكث هنا؟!، لاحظ أمين الشرطة نظراته فقال متسائلًا:

-هل وقع منك شيء؟، هيا، ماذا تنتظر؟.

سأله عن الرّجل وكانت الإجابة صاعقة وهو يقول:

- لا يوجد أحد هنا غيرك، يبدو أن الضابط «سمير» يحبك؛ لذا لم يرد أن يدخلك مع المجرمين؛ فلتحمد الله.

قدماه لم تكن قادرة علىٰ حمل جسده النّحيل هذا، وعندما دخل إلىٰ مكتب الضابط سمير وجد زوجة والده (علياء الدالي) تجلس علىٰ الكرسي أمامه وهي تبكي؛ فطلب منه الضابط «سمير» الجلوس وهو يقول:

- لا يُسمح بالزيارة الآن، ولم أكن أريد أن أقلقها عليك أكثر من ذلك، هيا، اجلس، وأنا سأترككما بمفردكما

ثم خرج مغلقًا الباب وراءه بإحكام، ولكن ذكاؤه لم يدعه يتغافل علىٰ تسجيل ما يجري بالمكتب وهو بالخارج، كان يريد أن يعرف ماذا سيقول لها فمن الممكن أن يتحصّل علىٰ اعتراف يُغنيه عن استخدام طُرق ليست محبوبة بالنسبة له، كانت «علياء الدالي» زوجة أبيه تشعر بالحزن والأسىٰ تجاه ما يجري مع مازن، لاحظ مازن وجهها الحزين رغم أن مازن كان يبغضها فهو يظن أنها تكرهه؛ لأنه يشاركها في والده؛ وأيضًا، فكرة أن يتحمل وجود شخص آخر غير والدته كانت بها من الصعوبة ما إن نزلت

علىٰ جبل لهدمته وهي كانت تعلم ذلك جيدًا أن الأمر لم يكن يسيرًا عليه؛ وحاولت أن تشاركه أي شيء يفعله لكنه كان يبتعد أكثر فأكثر، قالت علياء بحزن بدا علىٰ نبرتها:

- أخبرني يا ولدي، ما الذي حدث؟

مضّ شفتيه وكأنه سيتحدث، ولكنه لم يتفوه بحرف؛ بينما يستمع سمير إليهما من الخارج وهو متعجبٌ لمَ لا يتحدثان؟!

قطع مازن الصمت وهو يقول:

- سأخرج.

قامت علياء وهي تقول:

- لِم لا تريد أن تتحدث معي، أرجوك، أخبرني بالحقيقة.

قال بحدة جعلتها تتراجع إلىٰ الوراء في صدمة:

- وما الذي يُهمك في الأمر؟ هل تخشين من والدي أن يسألك لِم لم تذهبي إلىٰ ولدي..؟ أنا أعلم أنك لا تريدين وجودي وها أنا أبتعد عنكم جميعًا، هيا، اذهبي ولا أريد أن أرىٰ أحدًا.

حاولت أن تمسك الدّموع التي احتشدت في عينيها وهي تقول:

- لا، يا مازن أنا لا أكرهك، ووالدك يحبك، صدقني، هو لم يستطع المجيء؛ لأنه سمع الخبر فوقع مغشيًا عليه وهو الآن في المشفىٰ، والدك يُحبك، تعلم، يا ولدي، قبل أن أتزوج بوالدك كانت لديّ عائلة جميلة وعندي ولد مثلك، أظن لو أنه قد

عاش ليومنا هذا لكان في عمرك الآن.. أنا أعلم أنني لم أخبرك بهذا الأمر من قبل؛ ولكن لابدَّ أن تعرف أني تزوجت والدك؛ لأنني علمت أنك ستحل محل ابني الذي قد توفاه الله وكنت أشعر بالسّعادة عندما تبتسم... العوض الذي جاء من الله يا مازن، هو أنت.

نزلت دمعة من عينه لم يكن يعلم ماذا يقول غير أنه ارتمىٰ في حضنها وهو يبكي بكاءً مريرًا، فمسحت دموعهُ بيديها وهي تقول:

- لا تقلق، يا ولدي، ستخرج منها؛ لأنني أعلم أنك لم تقتل أحدًا، الحق، دائماً، لا يضيع... وهذا ابتلاء من الله.

بينما يتحدثان أتت إخبارية إلىٰ الضابط «سمير» تُفيد بسرقة جثة جديدة من المقابر لسيدة عجوز تدعىٰ«فوزية» كاد عقل سمير أن ينفجر، كيف سُرقت هذه الجثة ومازن قد قبض عليه؟ فدلف باب مكتبه عليهما، وهو يقول:

- أعتذر لكما، أريدك يا مازن معي الآن، هيا، كانت علياء في عجب كيف يكون مقبوضًا عليه ويخرج مع الضّابط «سمير»؟، لابدَّ وأن ثمة شيء ما حدث، أخذه الضابط بسيارة الشرطة مسرعًا؛ بينما خرجت علياء متجهة إلىٰ المشفىٰ لتطمئن علىٰ زوجها،

وصلا هناك فوجد سمير باب القبر محطمًا، وأولاد السيدة يجلسون وهم يبكون، فأتىٰ أكبرهم سنًّا وهو يقول باستياء شديد قد ظهر علىٰ محياه:

- هل سنظل في هذا الوضع إلىٰ الأبد أيها الضابط؟، أنا لا أعلم كيف لم تستطيعوا أن تتوصلوا حتّىٰ الآن إلىٰ المجرم هذا..؟، أنت لا تعلم كم هي حرق القلب التي ملأت قلوبنا، ضع نفسك في مكاننا... تُسرق جثثنا؛ فلا أمان علىٰ حيّ ولا ميّت!.

حاول الضابط «سمير» طمأنتهم قائلًا:

- لن أذوق غمضًا حتىٰ أُمْسك بهذا المجرم، وسيتم إرجاع الجثث إلىٰ مكانها، أعدك بذلك.

ضرب الرجل كفيه في بعضهما، وهو يستدير بخنقة ولم يتفوه بكلمة، وجلس بجوار قبرها وهو يضع يده علىٰ رأسه؛ بينما انساق الشك إلىٰ صلاح الذي هرب منهم فقال سمير وهو يلتفت إلىٰ مازن:

- تعلم، لو أخبرتني أين يمكث صلاح، الآن، سأدعك ولن تأتي معي إلىٰ القسم، صدقني؟

تبسم مازن وهو يقول:

- صلاح ليس هو من يسرق الجثث، أنت لا تفكر خارج الصندوق؛ لذا لن تصل إلىٰ الفاعل مهما جرىٰ.

- وكيف أفكر خارج الصندوق؟

- لقد وجدنا مفتاحًا فرعونيًا قديمًا، الذي سُرق من المعبد بالأقصر.

اعتدل سمير في دهشة وهو يقول كالذي أصابته الكهرباء:

- هل تعي ما تقوله؟، هذا الأمر ليس سهلًا، كيف وجدتما المفتاح؟

- الأسطورة التي تحدث عنها صلاح لم تكن محضًا من الخيال كما ظننت؛ بل هي حقيقة والدّليل علىٰ ذلك هي رسومات سليم -الأبكم- وما يفعله، وعندما اقتربنا من الحقيقة قُتل الشيخ «عزيز» قبل أن يصف الفتاة لكي أسجن ولا نعرف حقيقة الفاعل، هل أخبرتني كيف أكون أنا من يسرق الجثث وبينما أنا في السجن سُرقت هذه الجثة أيضًا؟، هل هذا الأمر لا يجعلك تفكر ولو لثانية واحدة أننا لسنا المتسببين في هذا!؟.

في هذه الأثناء أعدّ صلاح حقيبته، وسافر إلىٰ الأقصر ليتأكد من حقيقة هذا المفتاح وما يفعله... وبعد سويعات كثيرة في طريق طويل... دام السفر أكثر من اثنتي عشرة ساعة

وصل إلىٰ هناك ودخل المعبد الذي يقع في الضفة الغربية لنهر النيل كما ذكرت الاسطورة؛ وتأكد من العاملين هناك أن المفتاح قد سُرق بالفعل، وتفاجأ من أنهم جميعًا كانوا يعلمون بأمر الاسطورة التي تحدثت عن هذا المفتاح، شعر قبل أن يلج إلىٰ المعبد أن حقيبته تهتز بقوة مما لفت الأنظار إليه... فخرج مسرعًا فتوقف الاهتزاز ففتح حقيبته ليعلم ما الذي جعل الحقيبة تهتز هكذا... فتفاجأ بأن المفتاح يضيء نورًا.. كان مصدر الاهتزاز هو المفتاح.



في مكتب الضابط «سمير»

قرر سمير أن يفكر خارج الصندوق، وطلب مقابلة صديق له يعمل في هيئة الآثار، وهو من المجموعة المكلفة في البحث عن قضايا سرقة الآثار في الأقصر، ذهب إليه وأخذ معه «مازنًا» وعندما دلفا إلىٰ مكتبه، وعلم بالأمر وقص عليه سمير كل ما جرىٰ... أخبرهم بالأسطورة التي تحدث عنها صلاح قائلًا:

- الكثير من المجرمين علىٰ مرور أكثر من ثلاثة أعوام حاولوا سرقة المفتاح، لكنهم لم يفلحوا في ذلك من أجل الأسطورة التي حدّثتك عنها، وأنا لا أعلم أهي حقيقة أم لا، من سرق المفتاح هو لصٌّ ذكيّ جدًا، حتّىٰ الآن لم نستطع أن نعرف كيف سرقه من الأصل، أجهزة الإنذار لم تفعل والكاميرات لم ترصد دخول أحد وقتها وكأنه...

قاطعه مازن قبل أن يقولها قائلًا:

- جنٌّ، أليس كذلك؟.

تبسم الضابط «سمير» قائلًا:

- نعم، هذا ما كنت سأقوله.

بدأ سمير يرىٰ الأمر من منظور آخر، لم يكن يتصور أنه سيفكر في الأمر علىٰ أساس أن الجن من سرقت المفتاح لكي يحرروا اللعنة، فاستأذن صديقه وخرجا متجهين إلىٰ منزل سليم - الأبكم - وأثناء الطريق طلب سمير من مازن أن يخبر صلاح أن يأتي لكي يعلم منه حقيقة الأمر، وطمأنه أنه لن يقبض عليه ولن

يوقع به، شعر مازن بذلك أيضًا فحديثه كان صادقًا فسأل مازن:

- إلىٰ أين سنذهب؟

رد عليه قائلًا:

- إلىٰ منزل الشيخ «عثمان»، لابدَّ أن أجلس مع سليم هذا، أنا علىٰ يقين أنه الخيط الذي سيوصلنا للحقيقة.

بعد سويعات قد مرت في يوم مرهق وصلا إلىٰ منزل الشيخ «عثمان» ففتح لهم عمر في قلقٍ بدا علىٰ وجهه وهو يقول:

- سليم، قد ترك المنزل، وهرب!.

- كيف حدث هذا؟

- لا أعلم كيف ذهب، لكنه ترك بعض الرسومات أظن أنها ستفيدك.

أحضرها عمر وأعطاها لسمير، فأخذها وهو ينظر إليها بتمعن وظهرت علىٰ محياه الصدمة التي قد لجمته عن الحديث!.

اختلجتْ الرّعشة وقفتهُ بلسانٍ قد لُجِم عن الحديث، فجذب مازن يدهُ ممسكًا بالورقة... ليرىٰ السبب الذي جعل ملامح سمير تتغير إلىٰ هذا الشّكل؛ فإذا به يرفع حاجبيه كالذي وجد ضالته ثم قال وهو يحثه علىٰ السير:

- هيا، لقد أخبرنا بالجثة القادمة، فماذا تنتظر؟!.

التفت إليه متوترًا وهو يقول:

- القبر الذي رسمه سليم هذا... قبر ولدي!.

ازدرد ريقه بصعوبة وهو يرد عليه مندهشًا:

- لم رسم قبر ولدك؟، وأيضًا، لم يخبرنا بمكان الجثة التي سيسرقها... ألا ترىٰ في الأمر شيئًا مريبًا؟؛ وكأنه فخٌّ قد أعدّ مسبقًا...

كان سمير شاردًا وهو يقول:

- لو فرضنا جدلاً من يسرق الجثث هو سليم - الأبكم- فكيف سرقت جثة رجل الأعمال، إذن؟!، إلا لو كان هناك شخص آخر يساعده في هذا الأمر، الرسومات التي تساعدنا، ماذا لو كان قد رسمها ليجعلنا نسلك طريقًا آخرًا غير الذي يسلكهُ هو؟، من جعلنا نطمئن له، ونصدقه... ليضلنا بعد ذلك عن الطريق؟.

قاطع مازن شروده قائلًا:

- ليس لدينا حل آخر، هيا، قبل أن يفعلها.

أسرع سمير وأخذ سيارته متجهًا إلىٰ المقابر بصحبة مازن، ثم دلفا المقابر، واتجه سمير إلىٰ قبر ولده الذي قد توفاه الله في حادث منذ سنة، مسرعًا، كالذي يلحق بلص قد هرب منه، وتأكد أن لا أحد استطاع الدخول وسرقة الجثمان، فجلس بجوار القبر وهو يقرأ ما تيسر له من القرآن، حتّىٰ شعر بيد مازن وهو يربت علىٰ كتفه قائلًا:

- هون عليك، فهذه هي الدنيا.

أزال الدموع التي بدأت بالتساقط، وهو يبتسم ليخفي النّار التي قد اشتعلت في قلبه؛ فهي نار الاشتياق وما إن تشتعل تجعل

صاحب الجسد كالذي أصابه مرض العضال ليس له دواء؛ فالاشتياق لعنة القلب، ولا تدع لك تعويذة لكي تحرره من هذه اللعنة، ولا ترياق لكي تجعل الشفاء يسري إليه ويصلحه، فتجد بعد ذلك الحل هنا هو الفناء، ترىٰ ذاتك تشتاق لأناس قد رحلوا، وأخذوا معهم ذكرياتٍ لن ترحل أبدًا، نظر سمير إلىٰ مازن ثم أردف قائلًا:

- ولدي كان يلعب أمامي، تعلم، لم تغادر ابتسامته عيني، حتّىٰ الآن أراه في كل وقت وحين، أشعر بقلبي يحترق، وأنا أنظر إليه، وهو غارق في دمائه ولا يتحدث ولا يبتسم كما تعودت منه، الأمر برمته لا يُحتمل وما جعلني أكمل الطريق هي رؤية ولدي... كان اليأس يتملك قلبي، فأجده في منامي يدعوني لكي أقف علىٰ قدمي وأمضي قدمًا، لا تتخيل لو سُرقت جثتهُ كيف سيكون حالي.

تذكر وقتها كلمات الرّجل الذي قد سرقت جثة والدته، عندما قال: (لن تشعر بما نشعر به إلا عندما تتذوق نفس الشعور)، الآن، أصبح سمير يشعر بالأسىٰ، فقط، لبعض رسومات لم تنفّذ علىٰ أرض الواقع، ولم تسرق الجثة بعد...

قال مازن مطمئنًا له:

- أنت رجلٌ صالح، وأنا متأكد أنك ستعثر علىٰ هذا المجرم قبل أن ينفذ ما خطط له.

خطر في بال سمير أن يسأله عن صلاح مرة أخرىٰ، فمن الممكن أن تختلف الإجابة بعدما تأكد مازن من صدق حديث

سمير، وبالفعل، أخذه مازن إلىٰ منزل صلاح القديم، لم يكن بالمنزل وقتها إلا الشخص الوحيد الذي كان يعلم موقع الحملة التي يعمل بها صلاح... كان «مازنًا» فأخذ الضابط «سمير» إلىٰ هناك ولم يعثر عليه، وبدت خيبة الأمل علىٰ وجه مازن كونه لم يجد «صلاحًا»...

بينما ذهب صلاح إلىٰ صديق له، وجلس عنده طيلة اليوم حتّىٰ جنّ عليه الليل وخلد إلىٰ النوم متدثرًا في فراشه؛ فرأىٰ ليلتها الفتاة التي تحدث عنها مازن في المقابر، كانت تخبره بأن يضع المفتاح في مكانه، ويرجعه للملك كي تنتهي اللعنة!.

استيقظ مفزوعًا كالذي رأىٰ وحشًا، ابتلع غصته كالذي يعاني من مرض، وظلّ يفكر ويحاول أن يستجمع ملامح الفتاة حتىٰ تأكد من أنها نفس الفتاة التي وصفها مازن، أصابه الضيق بخنقة كونه مختبئًا كالذي سرق أو قتل أحدًا ما، حاول أن يعلم ويقتص خبر مازن فنزع الغطاء، وارتدىٰ ملابسه متسللًا ليلًا إلىٰ منزله، ليسأل عنه زوجة والده فأدخلته وهي تقول:

- قد أظهر الله الحق، وخرج مازن من تلك القضية

تعجب منها صلاح، فأردف قائلًا:

- يعني هذا أنه قد أُفرج عنه؟

ردت عليه:

- لا، لم يخرج ولكن وعدني الضابط «سمير» أن يخرجه في ظرف يومين أو أقل من ذلك؛ فلا يوجد دليل واحد يدين

«مازنًا»، وأنا أعلم أن الشرطة تبحث عنك يا صلاح، ولكن، صدقني، سمير يعلم الآن أنكما لستما اللصوص.

حديثها كان الدافع في تحرك قدم صلاح نحو القسم ليقابل «سمير»، ويروي له ما جرىٰ، وصل إلىٰ مكتبه كان سيتراجع لكن شيء ما دفعه للتقدم أكثر، فطرق الباب حتىٰ سمع «سمير» فقال بصوت عالٍ:

- تفضل.

دخل صلاح وهو يقترب من المكتب بخطواتٍ بطيئة، وينظر إليه بحذر، وكأنه ينتظر ردة فعله قبل أن يتفوه بكلمة، لمح ابتسامة لاحت علىٰ وجه سمير جعلت قلب صلاح يطمئن وهو يقول:

- أعلم أنك تظن أنني هربت منك، ولكن لم أفعل ذلك إلا لكي أظهر الحقيقة.

أذن له بالجلوس وفتح الحاسوب، ومن ثم، أدار الحاسوب ناحية صلاح وهو يقول:

- أليس هذا هو المفتاح الذي قد عثرت عليه؟

لم يفكر كثيرًا وهو يجيبه:

- نعم هو.

قال معتذرًا:

- أعتذر لك علىٰ ظني هذا، ولكن الحقيقة قد ظهرت الآن أمامي، كل ما أريده هو معرفة الشخص الذي يقوم بفعل كل هذا.

قال صلاح:

نحن لو جمعنا الدلائل التي معنا؛ سنعرف من يقوم بكل هذا... والأمر يسير، سيدي الضابط.

- كيف؟، أخبرني.

- تعلم أن الأسطورة هي الآن حقيقة، أو علىٰ الأقل هناك مجنون اقتنع بذلك، ويسعىٰ لتنفيذ الشروط لتحرير اللعنة، وأنا أرىٰ أنه سليم (الأبكم) ومعه شخص آخر.

رد عليه متسائلًا:

- لو كان هو لمَ يساعدنا، إذن؟.

أجاب عليه بنفس الإجابة التي كان يفكر فيها وهو يقول:

- يريد أن يجعلنا نصدق؛ ليبعدنا عن شيء ما لا أعلمه.

- هل ترىٰ ذلك؟.

- بالطبع، هو الشخص الوحيد الذي وجده مازن في بداية الأمر في المقابر، ألا تَذكُر؟.

قال سمير:

- هل تعلم أنه هرب من منزله؟، ولا أحد يعلم أين هو حتىٰ الآن؟

- ما يؤكد حديثي أنه ذهب لفعل شيء آخر نحن نغفل عنه، كل ما في الأمر الآن، هو أن نضع المفتاح في المعبد، بالتأكيد، سيحاول أن يحصل عليه مرةً أُخرىٰ، لكي يحرر اللعنة، ولكن كيف سأرجع المفتاح إلىٰ مكانه؟

- الأمر سهل للغاية أحضر المفتاح ولا تقلق سأضعه أنا دون أن يعلم أحد.

أومأ صلاح برأسه، ثم توجه مسرعًا إلىٰ المنزل لكي يحضر المفتاح، وعندما بحث عنه في المكان الذي قد خبأه فيه؛ فلم يجد له أثر... فقد سرق!، يا لها من صاعقة قد حلّت به!، وهو يبحث عنه مثل المدمن الذي يسعىٰ جاهدًا وهو يبحث عن المخدرات بين أدراج غرفته، كل ما كان يدور في رأسه ماذا سيفعل، الآن؟ وهل يصدق سمير حديثه عن سرقة المفتاح أم سيظن أنه يفتعل الأمر كله؟

ما لفت انتباه صلاح هي القلادة التي بها صورة صغيرة مثل التي تعلق في رقبة الأطفال، تبدو أنها قد وقعت من اللص دون أن يعلم، ففتحها صلاح فوجد صورة بها عمر وسليم، ويجلس بجوارهما رجل عجوز علم أنه هو الشيخ «عثمان» المتوفىٰ، ومعهم فتاة... تلك التي وجدها في منامه، وأيضًا نفس الفتاة التي قابلها مازن في المقابر، كان سيجن من هذه الفتاة، ولمَ تأتي في منامه؟، ولمَ تجلس مع سليم وعمر في الصورة؟، هل هي من أقاربهم يبدو أن الأمر بدأ يُكشف، و ما جعله يقترب من الحقيقة هي تلك الفتاة التي لم يعرف أحد حقيقتها بعد!.

تأتي في منام مازن وتخبره بأشياء كثيرة عن تلك اللعنة التي ستُحرر، وكأنها تريد أن توصل له رسالة، لم يفهم مغزاها حتىٰ الآن!.

ذهب صلاح مسرعًا إلىٰ الضابط «سمير»، وطلب منه هاتفيًا أن يحضر مازن ليرىٰ القلادة ليتعرف عليها؛ بعد ساعتين جلسوا مع بعضهم، ونظر مازن إلىٰ القلادة التي وجدها صلاح، فصعق

وهو يقول:

- هي الفتاة التي قابلتها في المقابر!، ولكن لمَ تجلس معهم في هذه الصورة؟.

قاطع حديثهم سمير وهو يقول:

- أنا سأخبرك من هذه الفتاة، الآن.

فاتصل بصديق له وأعطاه اسم سليم كاملًا، قد تحصل عليه في وقت لاحق ليبحث عنه، لم تمر أكثر من ساعة حتّىٰ عاود الاتصال به وهو يقول:

- ما الأخبار؟

رد عليه الرجل قائلًا:

-اسمه «سليم عثمان عبد المجيد» له ثلاثة أخوه وهم: عمر، عثمان، ورحمة.

فسأله في ذهول بدا علىٰ وجه مازن:

- كم تبلغ من العمر هذه الفتاة؟.

-هي توفيت منذ سنة تقريبًا، وهي في سن الثامنة عشر!.

- أريد صورة لها.

- حسنًا.

أحضر صديقه هذا صورة لها من البطاقة، وأرسلها عبر «الواتساب»، كانت هي تلك الفتاة التي قد تبينت حقيقتها، وعلم أنها ابنة الشيخ «عثمان» التي قد تُوفّيت منتحرة!.

بعدما علم سمير كل شيء عنها، نظر إلىٰ وجه مازن الذي بدت علىٰ محياه الصدمة نوعا ما... تخيل وقتها أن الفتاة التي شعر من ناحيتها بالحب، وتحرك قلبه ونبض للمرة الأولىٰ... لم تكن إلا شبحًا لفتاةٍ منتحرةٍ منذ عام!.





الفصل التاسع
خُيوط العنكبوت

تسارعتْ نبضاتُ قلبه حتّىٰ أحسّ أنّها ترجُّ جسدهُ بأكمله، اختلطت المشاعر ببعضها البعض، تارة يلجُ الحزن قلبهُ، وتارة أخرىٰ السّعادة تدخل إليه، لتزيل خُيوط العنكبوت الّتي تزاحمت، ثم تكاثرت وعزمت علىٰ ألا يُحب بعد اليوم، قد عزم علىٰ ألا يدع للحب طريقًا يسلكهُ إليهِ، وغمرت الفرحة قلبهُ... كون الفتاة التي غَلبت ذاك القلب لم تكن من البشر أو لم تعد منهم!.

استدار الضّابط سمير وهو يقول شيئًا لم يسمعه بسبب هذا الارتطام الذي دوىٰ في الغرفة المقابلة؛ مما جعلهم يهرولون ليروا ما الذي حدث! وجدوا لوحًا من الزجاج قد هوىٰ من تلقاء نفسه فتعجّب سمير وهو يقول:

- ما الذي حدث هنا؟

قال صلاح:

- يبدو أنه كان قديمًا أو قطةٌ قد أوقعته.

قالها مفسرًا رغم أنه لم يقتنع بما تفوه به، وأيضًا من ملامح سمير تعطي انطباعًا أنه لم يجد تفسيرًا غير أن هذا أجله؛ فتركوا الغرفة وعادوا إلىٰ المكتب مرةً أُخرىٰ وجلس سمير وهو يقول:

- لقد أرسلت بعض الرجال لكي يحضروا عمر إلىٰ هنا، أريد أن أتأكد من شيء.

قال مازن متسائلًا:

- وما هو هذا الشيء؟.

رد عليه:

- ستعلم ولكن في وقتها يا مازن، لا تقلق، لم أعد أظن أنك من وراء ما يحدث.

تبسم مازن فتابع سمير حديثه:

- لأن الذي يفعل كل هذا... لصّ ذكيّ جدًا.

فضحك صلاح وتبادلوا الضحكات، ثم انصرفوا بعدها وجلس سمير في شرود طغىٰ علىٰ ملامحه... حتّىٰ غلبه النوم علىٰ كرسيه دون أن يشعر بشيء، رأىٰ في منامه ولده الذي قد توفيّ وهو يقف بجوار تلك الفتاة التي تحدثوا عنها و يلعب معها؛ فأسرع سمير وهو ينهره ويأمره أن يبتعد عنها وهو يقول بحده زادت من توتره:

- ابتعد عنها، أخبرتك، اتركها وتعالَ إلىٰ هنا.

لم يصغِ له، ونظر إليه، وهو يبكي ثم قال:

- لا، يا أبي، هي طيبة جدًا، وتلعب معي كل يوم.

قبل أن يُكمل الكلمة التفت إليها سمير فلم يجدها، ووجد رجلًا كهلًا لم تكن ملامحه واضحة بسبب العتمة، اقترب وأخذ يشد في ولده أمام عينه، حاول سمير إنقاذه... فشعر أن قدميه قد تسمّرا ولم يعد يقوىٰ علىٰ تحريكها وهو يصرخ فيه:

- دعه، لا تأخذه، أرجوك.

لم يلفت ذاك العجوزَ، ومضىٰ وهو يحمل الطفل علىٰ كتفه، وقطرات الدّماء تتساقط من عباءته الممزقة، فاستيقظ كالذي لدغه ثعبان وهمّ مسرعًا نحو المقابر دون أن يفكر، ذهب ليلًا في ظلامها الحالك، لكي يطمئن قلبه، و يبصر ما أخفي عنه ويتأكد من وجود جثمان ولده الذي أتىٰ في منامه، ولم يدعه يخلد إلىٰ النوم وهو ينادي عليه قائلًا:

- انقذني، يا أبي، لا تدعهم يأخذونني.

لم يكن أحد في المقابر وقتها... فالجميع يخشىٰ منازل الآخرة ليلًا، فتوجه إلىٰ قبر ولده، قبل أن يصل إليه... لمح فتاة من بعيد تقف بجوار قبر ولده!.. ظن أن الحلم سيتحقق، فأسرع بخطواتٍ كانت لَتعرقله، وهو ينادي عليها قائلًا:

- اتركيه، وشأنه.

وما إن وصل إلىٰ القبر حتّىٰ تلاشت، وكأنها شبح قد تجسد ثم اختفىٰ، اقترب وظل ينظر يمينًا ويسارًا كالذي يبحث عن ضالته؛ فلم يجد شيء، فاقترب من قبر ولده وهو ينظر إليه فتفاجأ بالفتاة وهي تقف خلفه، قد أحس بها وهي تقول:

- أرجع المفتاح... تنتهي اللعنة.

التفت إليها مسرعًا، فاختفت مرةً أُخرىٰ، فأسرع بالخروج من المقابر متصلًا بالشيخ «صلاح»، وأخبره أن يقابله في أسرع وقت ممكن، ارتدىٰ صلاح ملابسه، وذهب إلىٰ العنوان الذي أعطاه إيّاه، كان منزل سمير، طرق بابه ففتح له بنظرة توحي له

بأنه كان ينتظره علىٰ أحرمن الجمر، ثم وجهه إلىٰ غرفته وهو يشير له، دلف باب غرفته وجلس علىٰ الأرض، فجلس بجواره، قام فجأة سمير ثم أسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه وهو يقول:

- أخبرني بكل شيئًا تعرفه عن هذه الفتاة.

تعجب صلاح من طريقة حديثه، واهتمامه الزائد بمعرفة تلك الفتاة التي أصبحت مسخًا لا يعرف هويتها فقال:

- الفتاة هذه أتت لي أكثر من مرة في منامي، كانت تردد (المفتاح)، يبدو أنها تريد أن نرجع المفتاح، ولكنه ليس بحوزتي الآن.

- كيف سُرق؟، أخبرني.

- لقد وضعته في المنزل، وخبأته جيدًا، وعندما عدت لم أجده.

قال بحدة:

- كيف لم تجده؟.

رد عليه: الشقة هذه تعود إلىٰ صديق لي قد سافر منذ عام؛ يعني هذا أنني لا أشك في أحد ولا أحد يعلم مكانها.

قال سمير متسائلًا:

- من كان يعلم بأمر هذا المفتاح غيرك؟.

-لا أحد غيرك أنت ومازن وعمر.

اهتز هاتف سمير معلنًا عن اتصال من أمين الشرطة الذي ذهب ليحضر عمر من منزله وهو يقول:

- يافندم عمر قد ترك المنزل وذهب، ولا يوجد أحد بالمنزل، وأيضًا، يوجد هنا لافتة مكتوب عليها أن المنزل للبيع.

تأكد سمير من ظنه في عمر وأخيه، هم من وراء كل هذا، طُرق باب الضابط «سمير»، فتحت زوجته؛ فإذا به «مازنًا» فأدخلته، وهي تقول:

- يا سمير، شخص يدعىٰ مازن يريد أن يقابلك.

فتعجب... كيف علم مازن بعنوان منزلي؟!، لم يدم التفكير طويلًا حتىٰ قال صلاح:

- أنا من أخبرته أن يأتي؛ فلابد أن يعرف كل شيء، أم نسيت أنه معنا في الأمر ذاته؟!.

دخل مازن وجلس معهم فقال سمير:

- هل تعلمان أن عمر قد ترك المنزل ولم ونعلم حتّىٰ الآن أين قد ذهب... غير سليم -الأبكم- الذي قد اختفىٰ هو الآخر؛ هذا يفسر سرقة الجثث الآن، لابدَّ وأن عمر علم أننا كدنا نصل إلىٰ الحقيقة فسارع بالهرب.

لكن مازن كان له رأي آخر فقال مقاطعا حديثه:

-الأسطورة تقول إن الذي يستطيع امتلاك هذه القوة، وتفعيل اللعنة هو رجل متزوج، ولديه أولاد لكي يضحي بهم، ويحرر اللعنة، وهذا لا يتوفر في عمر ولا أخيه.

بينما تذكر وهو يتحدث الموقف الذي قد حكاه الشيخ «عزيز» عندما أخبره عن الشيخ «عثمان»، وما فعله عندما أرادوا هدم المقابر فقال:

- أتذكر يوم أن أخبرني الشيخ «عزيز» بوالد عمر الشيخ عثمان... عندما وقف أمام هدم تلك المقابر منذ أعوام قبل وفاته... اعتدل سمير في جلسته وهو يقول:

- تعلمان ما الذي خطر في بالي الآن؟.

رد عليه صلاح:

- أظن، أيضًا، هو ما أفكر به.

قال مازن ممازحًا:

- هل أنا هو الشخص الوحيد الذي لا يفكر؟.

قال سمير وهو ينظر إليه:

- أنت قلت من شروط تحرير اللعنة... لابدَّ وأن يمتلك الرجل ذرية لكي يتخلص منهم، ويجعلهم قربانًا لهذه اللعنة.

قال صلاح قبل أن يتحدث مازن:

- نعم هذا ما تقوله الاسطورة أيضًا، هل تظن أن الشيخ عثمان لم يمُت حتّىٰ الآن؟!!.

تبسم الضابط «سمير» وهو يقول:

- أنت ذكيّ... كيف لم نفكر في هذا الأمر؟، سليم - الأبكم- لديه الفتاة التي تدعىٰ رحمة التي علمنا أنها شقيقتهم، ولا تنسَ أنها توفيت منتحرة!.

بينما يتحدث سمير أخرج صلاح القلادة التي وجدها في المنزل حين سُرق المفتاح وهو يقول:

- وهذا أيضًا يفسر الأمر.

أخذها سمير وهو ينظر إليها ثم اعتدل وهو يقول:

- أين وجدتها؟

- في منزل صديقي... وتبدو أنها وقعت من ذاك اللص دون أن يشعر بها.

قال سمير:

- هكذا الأمر، إذن، حاول أن يضللنا لكي يصلوا إلىٰ ما خُطط له، متأكد أنه هو من تسبب في انتحار ابنته.

قاطع حديثه مازن قائلًا:

- طالما الأمر كذلك، يعني هذا أن عمر لم يترك المنزل بل قُتل وأيضًا سليم؛ لابدَّ وأنه قد تخلص منه هو الآخر، وهذا يفسر ظهور الفتاة التي تجول في منامي، وأراها في يقظتي هي تريد أن تنتقم من والدها جراء ما فعل بها.

قال صلاح:

- ماذا لو كنا مخطئين، والشيخ عثمان قد توفي بالفعل؟.

قال سمير:

- لن نخسر شيئًا، أنا سوف أتأكد من الأوراق التي تثبت أنه قد توفي أم أنه يتلاعب بنا جميعًا؟، والموقف الذي حكاه مازن أنه رفض هدم المقابر... أظن أنه كان ينوي منذُ وقت طويل لفعل هذا الأمر.

ثم قام سمير وهو يحثهما علىٰ الذهاب، وتوجه إلىٰ القسم وطلب الأوراق التي تثبت أن الشيخ عثمان قد توفي، بالفعل،

ولكنه تفاجأ بالخبر الذي صدمه، وجعله يتأكد من ظنه عندما دلف باب مكتبه أمين الشرطة وهو يقول:

- لقد وجدنا عمر وأخاه «سليمًا» -الأبكم- مقتولين وقد قُطع رأساهما بآلة حادة، وكتب علىٰ جسميهما نفس الكلمات، سيدي!.

الكلمَات كادت تتطَايرُ من فَمه؛ لولا أنهُ ابتلعهَا في غصّةٍ أشبهَ بالّذي رأىٰ وحشًا لتوّه، لاحظ أمين الشرطة التغيّر الكبير علىٰ وجه سمير فقال:

-هل أنت بخير؟، ياسيدي.

تبسم سمير ابتسامة ليزيل التوتر الذي بدا علىٰ محياه حتىٰ كسىٰ ملامحه وهو يقول:

- هل أخبرتني أين قد وجدتم الجُثث؟.

رد عليه:

- في قرية نائية تسمىٰ (المحسنين) تبعد عن هنا قرابة الساعة.

-وأين جثتاهما، الآن؟.

- لقد دخلتا المشرحة.

-أخبرني بالنتيجة التي توصلوا إليها فور خروجهم من هناك، هل فهمت؟.

- نعم، سيدي.

توجه إلىٰ منزل الشيخ «صلاح»، وبعد ساعتين اتصل الضابط «وليد»، لم يكن يعلم شيئًا عن هذه القضية بسبب إجازته المرضية

التي طال وقتها؛ لولا أن أخبره أمين الشرطة بكل شيء، وأخبره بنتيجة التشريح، فقال وليد وهو يتصل بسمير عبر الهاتف: كيف حالك، ياصديقي؟.

فرح سمير عندما سمع صوته فرد عليه ممازحًا:

- بالتأكيد، أفضل منك.

ثم أعطاه العنوان الذي يجلس فيه وهو (منزل الشيخ «صلاح») توجه إليه بينما جلس سمير يتحدث مع صلاح عما شاهده عندما ذهب إلىٰ قبر ولده، وهو يقول:

- أريد أن أعلم منك شيئًا، ياصديقي.

أومأ برأسه وهو يقول:

- بالطبع، تفضل.

تحرّك بخطوات سريعة، وجلس بجواره وهو يقول:

- هل يوجد شيء لأفعله كي أحفظ جثمان ولدي الصغير هذا من السرقة؟.

تعجب من حديثه، ولكن راعىٰ شعوره كأب يخشىٰ علىٰ جثمان ولده من السرقة؛ فجثمان هذا الطفل هو آخر شيء يشعرهُ بوجود ولده في هذا العالم، فقال:

-الحافظ هو الله، ولكن هل أخبرك بأفضل من ذلك؟.

قال بنهم: نعم.

- أن نجد ذاك اللص الذي تجرد من إنسانيته.

فأرجع ظهره إلىٰ الوراء ثم أردف قائلًا:

- أعدك أنني لن يغفل لي طرف حتّىٰ أعثر عليه، لقد طلبت من صديق لي أن أطلع علىٰ أوراق وفاة الشيخ «عثمان»، لابدَّ وأن أتأكد من شيء ما.

قال متسائلًا:

- وهل من الممكن التلاعب في مثل هذه الأوراق من الأصل؟.

تبسم ابتسامة تخفي شيئًا ما وهو يقول:

- كل شيء... سهل التلاعب فيه، الآن، .. تعلم، كانت هناك كتيبة وهمية... أعلم أنك لن تصدق ما سأقوله، ولكن هذا حدث، بالفعل، كانت تلك الكتيبة علىٰ الورق، فقط، قاطعه مستغربًا:

- كيف ذلك؟

- عقيد في الجيش قد تلاعب في الأوراق، وأدخل كتيبة وهمية كاملة إلىٰ المنظومة، ثم صرف لها كل شيء حتّىٰ الرماية، كان هو من يفعلها بنفسه، ويرجع الفارغ، وظل هكذا حتّىٰ فُضح أمره من لجنة تفتيش أتت علىٰ تلك الكتيبة علىٰ حين غفلة منه؛ فوجدوها صحراء جرداء لا حياة فيها ولا ماء...

بينما كان يتحدث سمع الباب يُطرق ففتح صلاح؛ فإذا به «وليدًا» يقف منتظرًا صلاح أن يأذن له... فادخله وجلس معهم، فقال الضابط «وليد» موجهًا حديثه إلىٰ سمير:

لقد علمت بأمر المقابر، والجثث التي سرقت من هناك، وأشعر من نظراتك أنك قد اقتربت أيضًا من حل لغز تلك القضية، أليس ذلك؟.

رد عليه:

- ليس بعد، لابدَّ وأن أتأكد من حقيقة وفاة هذا الشخص.

قال مستغربًا وهو يسأله:

- ومن هو هذا الشخص الذي تتحدث عنه؟.

من أخبرك بأمر القضية... لم يخبرك عن آخر ما توصلنا إليه.

تبسم وهو يقول:

- لا، لم يخبرني.

- المشتبه فيه حتّىٰ الآن، هو شخص قد توفيّ منذُ عام أو أكثر.

ضحك وليد وهو يقول ممازحًا:

- وكيف أعاقبه؟، هل نقبض عليه بالكفن؟.

-أنا لا أمزح، أريد التأكد من أمر وفاته أولًا، أنا أشك أنه قد افتعل هذا الأمر... لكي يبعد الأنظار عنه.

- وماذا لو كان خبر وفاته حقيقيًا؟.

- وقتها تكون قد تعقدت تلك القضية، لن أذهب إلىٰ هذا الاحتمال الآن، كل ما عليك هو أن تحضر لي ما طلبته منك.

- حسنًا، سوف أستأذن أنا.

- تفضل.

أخرجه صلاح، وجلس بينما أخرج سمير هاتفه متصلًا بمازن وهو يخبره أن يأتي إلىٰ منزل صلاح بعد ساعة؛ أتىٰ مازن وهو يقول:

- تعلم، أفكر أن أجلس مع الشيخ «صلاح» هذه الفترة، لا أريد أن أذهب إلىٰ المنزل، هذه الفتاة بدأت بالظهور في كل مكان، لا أعلم ماذا تريد مني!.

قال صلاح:

- أهي تطلب حقها من والدها أم هذا الدجال الذي يسعىٰ وراء امتلاك القوة وتخلىٰ عن إنسانيته؟.

لم تمر أكثر من ساعة حتىٰ عاد وليد ومعه الأوراق وهو يقول:

- ها هي الأوراق التي تثبت أن الشيخ «عثمان» قد توفيّ بالفعل، ولقد اطلعت عليها ووجدتها صحيحة.

أخذها منه سمير وهو يتمعن النظر إليها، وبعد الاطلاع علىٰ الأوراق تأكد من صحتها، يعني هذا أن الشكوك التي قد تجمعت ناحية الشيخ «عثمان» لم تكن حقيقة، الرجل قد مات بالفعل!.

كاد عقل سمير أن يُجن... من يفعل كل هذا؟!، وهل حقًا الأسطورة حقيقة أم لا؟، خطر إلىٰ ذهنه سؤال، هل لو توفيّ شخص آخر وتم تشويه وإخفاء ملامحه ودفن علىٰ أساس أنه

الشيخ «عثمان» وقتها تكون الأوراق حقيقة ولم يتم التلاعب بها بل بالجثمان نفسه؟، انطلق مسرعًا إلىٰ القسم، وأخذ معه وليد ليعلم من هو الضّابط الذي حقق في وفاة الشيخ «عثمان»، ومن الطبيب الذي قام بتشريح الجثمان؟.

من الأوراق تبين أن الشيخ عثمان قد توفي غرقًا، كانت جثته ملقاة في المياه، يعني هذا أن من الممكن أن تكون الأسماك قد طمست هيئته...

قال وليد:

-أتأكد من الأمر بنفسي، ولكن هناك شيء أريد أن أخبرك به.

- وما هو؟

- أتىٰ بلاغ من مزارع يدعىٰ «عوض السيد إبراهيم» يقول فيه إنه كان يعمل بالخارج، وكانت له قطعة أرض...

قاطعه سمير قائلًا:

- وهل هذا وقته الآن؟

قال وليد بجدية:

- الرابط هنا بين هذا البلاغ، وبين القضية... أن قطعة الأرض التي يتحدث عنها ذاك الشخص هي بجوار المقابر، الرجل يقول إنه لما رجع من السفر... وجد شخصًا قد أخذها بوضع اليد، وهذا الشخص رجل غامض، ودائمًا مُلثم، والجميع يخشىٰ التحدث أو الاقتراب منه، عندما بحثت في الأمر تبين لي أنه يجلس في غرفة يمتلكها أحد المزارعين بجوار المقابر قد

تركها له، يجلس ويرعىٰ الزراعة هناك، ويحكىٰ عنه أنه قد تعرض لحريق تسبب في تشويه وجهه بالكامل؛ لذا يمشي بين الناس وهو ملثم ولا يخرج من الأرض مطلقًا إلا لقضاء حاجته، لم يتزوج وكأن هالة من الغموض تجتاح هذا الرجل.

يعلم سمير أن هذا الرجل متواجد معظم الوقت بجوار المقابر، فمن الممكن أن يكون قد رأىٰ شيئا، وبالفعل، انطلق سمير إلىٰ المقابر ومعه وليد، وجلسا يتحدثان مع الرجل، بدا طبيعيًا في البداية، وبالحديث معه تبين لسمير شيء ما... كان يخفيه هذا الرجل الغامض فقال سمير:

- من أي بلدة أنت قد أتيت؟.

- أنا من الصعيد بعد ما حدث لوجهي لم أعد أتحمل نظرات البلدة، الجميع يبغضني ويكرهني، يقولون أنني السبب في إفزاع أولادهم؛ لذا تركت القرية وجئت إلىٰ هنا.

- منذ متىٰ وأنت هنا؟

- منذ عام.

تلاعب وقتها الشك في قلب سمير وشرد بذهنه:

- أيضا الشيخ عثمان قد توفي منذ عام، هل من الممكن أن يكون هذا هو الشيخ «عثمان»، واستغل التشوه الذي في وجهه ليضلنا؟!.

بعد أن انتهىٰ حديثهم، توجه وليد هو وسمير إلىٰ الطبيب الذي عاين جثمان عثمان قبل دفنه، جلسا معه يتحدثون فقال وليد:

- هذا هو الطبيب الذي قام بتشريح الجثمان، وهو من كتب التقرير بسبب الوفاة الأصلي.

قال سمير وهو ينظر إلىٰ الطبيب:

- هل أخبرتني كيف تأكدت أن الجثة هي جثة الشيخ عثمان؟





الفصل العاشر
ثلاجةُ الموتَى

في ثلاجةُ الموتَىٰ يمكثُ الطّبيب الذي قام بتشريح جُثمان الشيخ «عثمان» وهو يتحدث مع سمير عن شأن أسباب الوفاة وما وجدهُ عند تشريح الجّثة؛ كان صوت الطبيب به بعض التلعثم الذي ألقَىٰ الشّك والريبة في قلب سمير، لم يترك الشك ينفرد به، ولا أن ينقر في رأسه فقال بحدة:

- هلَّا أخبرتني كيف تأكدت من أنه عثمان؟.

نظرات الطّبيب كان بها بعضُ القلق، لم يستطع إخفاء ملامحه الفاضحة وهو يقول:

- لقد مرّ عام علىٰ هذا الجثمان، ولا أتذكر سبب الوفاة بعد، كل ما أذكرهُ أنه وُجد في المياه، وملامحه كانت قد طُمست، وبعد أخذ العينة... تأكدنا أنها تعود لعثمان.

لم يقتنع سمير بحديث الطبيب فبادرهُ بسؤال جعله يرتبك:

- لو أحضرتُ لك عينه من جثة قد دُفنت منذُ عام... تستطيع معرفة هويتها، أليس كذلك؟.

رد عليه: من السهل العثور علىٰ الجثة، ولكن الأمر يزداد تعقيدًا بالنسبةِ لنا، إن كانت تلك الجثة قد تحلّلت أو طُمست هويتها أو لا تمتلك أي سندات تكشف لنا هويتها؛ يكن الأمر وقتها عسيرًا علينا.

اقترب سمير منه ثم أردف قائلًا:

- نحن في معظم القضايا ننتدب الطب الشرعي، ويتم سحب عينة dna لنعرف كيف توفيت تلك الجثة، لنتعرف علىٰ هويتها.

أكّد حديثه وهو يقول:

- بالطبع، هذا يحدث عندما تكون الجثة قد تعفنت أو تشوهت و في حالات الانتحار، ومثل حالة عثمان أيضًا؛ لأنه قد تشوه وجهه بالكامل.

قال وليد مقاطعا حديثهما:

- نعم، هذا ما تعلمناه فىٰ حالة العثور علىٰ جثة مشوهة نتيجة التعفن أو الانتحار، فإن هناك عدة خطوات نتبعها في تحديد هوية الجثة للتعرف عليها، والتوصل إلىٰ أهليتها، تتمثل في أخذ عينة من "dna" تمهيدًا لإجراء المقارنات حال ظهور أحد من ذوىٰ الجثة...

تبسم سمير وهو يقول:

- سأحضر لك عينة، وأريد معرفة جثة من هذه؟.

أومأ الطبيب برأسه، ثم غادر سمير وهو يحثُّ وليد علىٰ الذهاب معه، وأثناء تواجدهما في السيارة قال سمير:

- هل لاحظت شيئا غير طبيعي أثناء مقابلة هذا الطبيب؟.

- بالتأكيد، وجهه الذي قد تغير فجأة، وتلعثمهُ الزائد في الحديث.. لا تقلق، أنا أراقبه عن كثب ولكن لا أعلم ما الذي

يُخفيهِ؟، وما الفائدة التي ستعود عليه عندما يتلاعب في الأوراق أو يضلنا؟!.

أسند سمير ظهره إلىٰ الخلف بينما يقود وليد السيارة وهو يُصغي لحديثه:

- هذا الطبيب من الممكن أن يكون قد هددّه عثمان، أو أحد ما ضغط عليه ليقول أن هذه الجثة هي جثة عثمان.

قال وليد متسائلًا:

- هناك أمر تعجبت منه.

- وما هو؟.

- عندما كنت تتحدث مع الطبيب شعرت أنك تدعي عدم معرفة الأمور الجنائية.

ضحك سمير وهو يقول:

- كي تُوقع بفريستك لابدَّ وأن تتدعي الضعف... وقتها تأخذ الأمان، وتستطيع الانقضاض عليها.

تبسم وليد وهو يقول:

- لم أفهم بعد.

- الطبيب لو علم أنني أعرف كل هذه الأمور علم اليقين؛ فلن يستطع الوقوع في الحديث؛ لذا ظهرتُ أمامه أجهل الأمر الذي يتحدث فيه، مع العلم، أنا أعرف تفاصيل لم يذكرها عن معرفة الجثث المشوهة: مثل أنه يتم أخذ عينه من بصيلات الشعر، ورفع البصمات وإرسالها لإدارة الأحوال المدنية

والحاسب الآلي، بالإضافة إلىٰ إجراء المقارنات وصولًا إلىٰ هوية المتوفىٰ أو المتوفاة، ولكن أردت أن أسمع ماذا سيقول. . .

قال وليد:

- لابدَّ وأن أتعلم منك الكثير، ولكن أخبرني إلىٰ أين سنذهب؟.

- المقابر.

- ماذا؟

قالها في خوف فرد عليه:

- أريد أخذ العينة التي تحدثتُ عنها أمام الطبيب.

- هل ستأخذ عينة من جثة عثمان؟

- نعم، بالضبط.

-ولكن لابدَّ من أمر من النيابة.

- لو كل خطوة انتظرتُ أمر النيابة، فسيكون قد نفّذ ما خطط له، هيا ليس لدينا وقت، وهو الآن يمتلك المفتاح، وأظن أنه قد اقترب من إكمال عدد الجُثث التي ستحرر اللعنة.

ضحك وليد ساخرًا:

- وهل تقصد هذا الأمر، بالفعل؟

- نعم، أصدق، وستصدق أنت عندما ترىٰ بعينك.

- أرىٰ ماذا؟

- ستعلم، ولكن ليس الآن، هيا، أسرع.

بينما يجلس مازن في شقة صلاح بجوار الحاسب الآلي وهم يبحثون عن الأسطورة التي تحدّثت عن «بشكروش»، أخذ مازن يستريح علىٰ الأريكة... فغلبه النعاس، رأىٰ الفتاة في منامه وهي تقف وراء شيء ما، وكأنّها تخشىٰ من شيء، كانت تبكي، اقترب منها وهو يقول:

- لا تخافي، سأنقذك.

تحولت دموعها إلىٰ قطراتٍ من الدماء، ظلت تتساقط منها كالمطر في فصل الخريف، فرجع القهقري وهو يلتقط أنفاسه وكأنها الأخيرة، بينما سمع الفتاة تقول:

- أنتم قد اقتربتم من حل اللغز، وكَشف اللعنة، ولكن الوقت أسرع... سيتغلب عليكم.

ثم استدارت لتذهب فوقعت من يديها ورقة كانت تمسكها بإحكام ثم تلاشىٰ ظلها وهو يطالعها محدقا النظر إليها وهي تتلاشىٰ مثل السحاب في جو السماء؛ جثا علىٰ ركبتيه ليأخذ الورقة فإذا برقم (٥٠) مكتوبًا عليها بالدماء، فتركها فزعًا، فظهر من العدم شيخ كان يجلس علىٰ كرسي وهو يعطي ظهره له لم يرَ ملامحه، كان يرتدي عمامة وجلباب، ركز الشيخ عمامته فوق رأسه، وأصلح شأن جلبابه وهو يقول دون أن يلتفت:

- لن تحرر اللعنة إلا بموتك!

سمع أنينًا وصوت صرخات وأصوات أخرىٰ ظنها تأتي من داخل رأسه فابتلع غصته وهو يقول:

- لا أريد الموت.

فاستيقظ فزعًا، التفت الشيخ «صلاح» وهو ينظر إليه مستغربًا، ثم ترك الحاسوب وجلس بجواره وهو يهدئ من روعه قائلًا:

- يبدو أنك كنت تحلم.

- لقد رأيتها مرة أخرىٰ.

- من هي؟

- ابنة عثمان، أظنها كانت تريد أن توصل لي رسالة تخبرني فيها أنه اقترب من تحرير اللعنة!.

قال متسائلًا:

- وماذا قالت لك؟

- لم تتحدث، كانت خائفة من شيء وراءها لم أره، و أخبرتني بعدد الجثث التي استطاع هذا الدجال الاستحواذ علىٰ أرواحهم داخل اللعنة.

- كم عددهن؟

أسند ظهره إلىٰ الوراء قليلًا وقال بعدم ارتياح:

- خمسون جثة.

تأفف صلاح وهو يقول باستياء:

- يعني هذا أنه قد اقترب من تحرير تلك اللعنة، بالفعل، لابدَّ وأن نسرع قليلًا، وأن نخبر «سمير» بالأمر.



بينما استطاع سمير بمساعدة وليد تحطيم قفل المقبرة، وأخذ عينة من جثمان الشيخ «عثمان» ثم رجعا بها إلىٰ الطبيب ليتم فحصها دون أن يعلم جثة من هذه، ويقارنها بجثة الشيخ «عثمان» التي قد أقر سابقًا أنها ترجع إليه،

في صباح اليوم التالي...

استيقظ سمير وقابل في طريقه «وليدًا» بينما اتصل عليه صلاح فأخبره أن يأتي بمازن إلىٰ القسم، فارتدىٰ صلاح ملابسه، وأيقظ مازن ليذهبا إلىٰ هناك، وصل سمير إلىٰ الطبيب ليعلم نتيجة العينة، وهل ترجع إلىٰ عثمان أم لا؟، فقال الطبيب:

- لم يتم تحديد حتّىٰ الآن، للهوية.

رد عليه سمير:

- هل قارنت العينة بجثمان الشيخ «عثمان»؟، هل هي ذاتها؟.

- هذه العينة ليست للشيخ «عثمان»، وأنا متأكد من ذلك.

يعني هذا أن شكه كان في محله، الجثمان الذي يرقد في المقابر ليس لعثمان، بل هو شخص آخر!.

نظر وليد بتعجب إلىٰ سمير الذي تبسم كعادته وهو يقول:

- فما رأيك أن هذه العينة هي من جثة عثمان؟، الجثة التي كتبت بخط يديك منذ عام تقريبًا أنها ترجع إليه.. تعلم ما هي عقوبة هذا الأمر؟.

احمر وجه الطبيب وبدأ العرق يتساقط مثل الأنهار وهو يحاول أن يبرر الأمر، ويطعن في كون العينة التي أعطاها إياه ليست لعثمان قائلًا:

- وما الذي يثبت أن هذه العينة قد حصلت عليها من الجثة الحقيقية لعثمان؟.

لم يُجب عليه؛ بينما أمر وليد بأن يقبض عليه ويصطحبه إلىٰ القسم، كان الطبيب يجلس في السيارة في شرود لاحظه سمير الذي يراقبه من مرآة السيارة حتّىٰ علَىٰ صوت الطبيب وهو يقول:

- سأخبرك بكل شيء، ولكن لا تأخذني إلىٰ القسم، أرجوك.

أوقف وليد السيارة، والتفت سمير إليه، ومازالت تلك البسمة لم تختفي من وجهه وهو يقول:

- وأنا أوافق، هيا، أخبرني.

ظلّ الطّبيب في قلقٍ داهم قلبهُ وبدا ظاهرًا للعيان، وكأنهُ كان يظنّ أنّ الأمر سينتهي بسلام، ويمرّ مرُور الكِرام، ولن ينبش أحد ذاك السّر مرةً أُخرىٰ، فقال علىٰ مضض وهو يقتلع كلماته بصعوبة؛ وكأنها لا تريد الخروج ولا هو يريد البوح بالحقيقة، فسوف يخضع للسّجن مدّة طويلة... فكان من الذكاء أن يجري هذا الاتفاق بينهم، هو سيخبرهُم بكل ما يعرف مقابل حريته، وتركهُ يحيا دون المسَاس به، لم يكن يعلم أن سمير يتمتع بالدهاء، عندما قال الطبيب مخبرًا بالحقيقة:

- عثمان أتىٰ وهددني أن أكتب في التقرير أن الجثة التي وُجدت غارقة ومطموسة الملامح والهوية هي جثته؛ إلا أقتل أطفالي، صدقني، لم أفعلها إلا تحت التهديد.

قال سمير مطمئنًا له:

- أنا أتفهم الأمر، وأعلم أنك فعلت ذلك؛ لأنك تخشىٰ علىٰ أولادك، ولكن بيدك أن تساعدنا في التوصل إلىٰ هذا المجرم

ابتلع ريقه وأومأ برأسه قائلًا:

- لكن، أرجوك، لا أريد أن أسجن.

تبسم سمير وهو يقول:

- كل ما قلته منذ دقائق قد تم تسجيله، فمن الممكن أن تحاكم من الآن، أنا لن أفعل ذلك، كل ما أريده منك هو الحقيقة، ولا تتلاعب بنا... أفهمت؟.

أوما برأسه.

- نعم، عثمان لم يمت، وهو من قتل صاحب الجثمان التي أتيت منه بتلك العينة، هو من طلب مني كما أخبرتك أن أكتب أنه قد توفي وأن الجثة التي وجدت هي جثته؛ هذا كل ما أعلم، لا أعلم أين قد ذهب بعدها، ولكن وجهه قد شوه، لا أعلم السبب في ذلك.

الكلمة هذه جعلتهم ينظرون إلىٰ بعضهم البعض، فبادر وليد بسؤال سمير قائلًا:

- أتذكر الرجل الذي جلسنا معه بجوار المقابر؟.

رد عليه سمير:

- هذا أيضًا ما خطر في بالي، هو عثمان!، وتلاعب بنا الحقير.

ثم أمر سمير «وليدًا» بأن يأخذ قوة ليحضره من هناك قبل أن يعلم أن أمره قد كشف ويهرب؛ نزل وليد، واستقل سيارة أخرىٰ - أجرة - متوجهًا إلىٰ القسم، ومن هناك أخذ حملة، وتوجه إلىٰ المقابر... بينما كان سمير يستمع للطبيب مصغيًا لحديثه وهو يخبره بالحقيقة.



في شقة صلاح التي يمتلكها بعدما ترك شقة صديقه، وأخذ مازن معه، خطر إلىٰ ذهنه أن يسأل مازن عن شيء يدور في رأسه فقال:

- كيف يتركك والدك خارج المنزل كل هذا الوقت وهو لا يعلم أين أنت؟، ولمَ لم تتصل عليه لتطمئنه؟

لم يرد عليه، مما أشعر صلاح أنه قد تدخل فما لا يعنيه، فقال معتذرًا:

- أعتذر إن كنت قد تجاوزت حدودي.

تبسم مازن ابتسامة... جعلته يبتسم وهو يسمعه يقول:

- لَم تتجاوز في شيء.. أبي لا يكترث لأمري بل كلّ ما يشغل باله هي تلك الشركة التي يصعد بها، ويريد أن يحقق نجاحًا كبيرًا، لا يعلم أن النّجاح كله هو الاعتناء بأولاده... تعلم، أبي

تزوج بعد وفاة أمي بعام، لم أكن أستطيع النظر إلىٰ وجه تلك المرأة، وهو وضعني أمام الأمر الواقع، وأراد مني أن أعاملها مثل والدتي، لم يكن الأمر سهلًا عليّ.

- أتفهم ذلك فقد مررت بهذا الأمر من قبل

تابع مازن حديثه قائلًا:

- هو لا يريد أن يعرف عني شيئًا، وأشعر أنه يتمنىٰ موتي...

قاطعه قائلًا:

- لا يوجد أب علىٰ وجه الأرض يتمنىٰ الأذىٰ لأولاده... مهما جرىٰ بينكما؛ فهو والدك وأنت من صلبه، لا تنسَ، الله أمرك أن تحسن إليه، وأن تعامله بالحسنىٰ...

- دعك من هذا الأمر الآن، أريد أن أقابل الضابط «سمير»، لابدَّ وأن يعلم أن عثمان قد اقترب من فعلته.

- قم بدل ملابسك، واخلد إلىٰ النوم، وفي الصباح نذهب إليه.

قالها والنعاس يظهر علىٰ ملامحه وهو يتثاوب، الإرهاق الذي غلب علىٰ مازن، وجعل الصداع يتملك رأسه ليشعره بألم شديد ما دفعه للنوم... فأومأ برأسه وتوجه إلىٰ غرفة النوم، وتدثر في فراشه، لم يكن يعلم أن الفتاة التي تظهر من العدم لن تتركه يرتاح... فأتت إليه في منامه فرآها هذه المرة تجلس وهي ترتدي فستانها الأبيض ذو اللون الساطع وبه بعض النقوش التي تلمع

بلون جميل؛ كان الفستان يبرز نحافتها بسبب القصّة التي حول الخصر، وترتدي الطرحة «التول» الطويلة التي تنسدل علىٰ الأرض وكأنها عروسٌ ليلة زفافها؛ ظل ينظر مازن إليها محدقًا في تلك الدموع التي خرجت منها، وفجأة، تغير لون الفستان إلىٰ الأسود الحالك وجثت علىٰ ركبتيها وهي تصرخ، وتلوح بيديها مثل الغريق الذي يجاهد ليبقىٰ علىٰ قيد الحياة، كانت تخفىٰ وراءها رجلًا عجوزًا... وما إن اقترب منه... وجده يمسك المفتاح الذي سُرق من المعبد... وهو يضع عليه بعض المياه ذات اللون الأحمر الاشبه بلون الدّماء؛ ثم رفع رأسه؛ فإذا به الشيخ «عثمان» وهو يبتسم ابتسامة بها من الشر ما إن نزل علىٰ جبل لهدمه، ظهر بارزًا رقم ٥٢ وكأنه قد رسم علىٰ الجدار، علم وقتها أن العدد قد اقترب من الانتهاء، ولو استطاع إكمال عدد الجثث إلىٰ ٥٥ كما تقول الأسطورة لحرر اللعنة الكامنة في ذاك المفتاح الملعون؛ فاعتدل عثمان وهو يقول:

- أنت القادم يا ولدي، بعد وليد.

فاستيقظ مفزوعًا وهو يُخترف بالحديث كالذي يهذي:

-لا تقتلني، لا...

دلف عليه صلاح الباب وهو يهدئ من روعه قائلًا:

- يبدو أنك كنت تحلم.

قام وهو يبتلع غصته من شدة الخوف:

- سيقتل «وليدًا»... أرجوك، هيا، لنذهب الآن.

تعجب صلاح من حديثه:

- كيف سيقتله؟ وكيف علمت؟.

اعتدل، وأسند ظهره وهو يقول:

- لقد رأيته في حلمي.

- هذه أضغاث أحلام...

قاطعه: لا، الفتاة ظهرت مرةً أُخرىٰ، ولكن كانت تصرخ وتبكي وهي ترتدي فستان زفاف، لم أفهم شيًا غير أنني رأيت والدها «عثمان» يجلس وهو يحضر شيئًا ما بحوزته «المفتاح»؛ وعدد الجثث قد اقترب، الرقم الذي وجدته في الرؤيا (٥٢).

فدخل صلاح ليبدل ملابسه، وهمّ مازن وارتدىٰ ملابسه إستعداد للذهاب إلىٰ القسم.



بينما ذهب وليد إلىٰ المنزل الذي يمكث فيه الرجل الملثم فلم يجده؛ فاتصل بسمير وهو يقول:

- لقد هرب، يبدو أنه علم أننا قد توصلنا إليه أو أحدًا ما قد أخبره!.

علم عثمان أن أمره قد كُشف، فترك الأرض واختفىٰ عن الأعين... مما تأكد لسمير أن عثمان هو نفسه ذاك الشخص الملثم الذي ادعىٰ أنه قد أتىٰ من الصعيد هربًا من التنمرعليه وعلىٰ هيئته،

طلب سمير بوضع حراسة مشددة علىٰ المقابر، وأخذ يبحث عن ذاك الرجل الملثم فلم يجده، وقف سمير كالذي أصابه الاستياء... حتىٰ تملكه الغضب فقال بحدة:

- هل رجل كهل مثله يفعل فينا كل هذا؟.

قال وليد ليهدأ من روعه:

- اهدأ يا سمير، سنقبض عليه قبل أن يسرق جثة أخرىٰ.

- أظن أنه لن يحتاج لسرقة جثث بعد الآن.

- كيف هذا؟.

- بالتأكيد، عدد الجثث قد اقترب من ٥٥، معنىٰ ذلك أنه سيعمل علىٰ قتل العدد المتبقي، ولن يلتفت إلىٰ المقابر مرةً أُخرىٰ.

بينما هم يتحدثون... يجلس عثمان في مخبأه الجديد... المكان أشبه بمبنىٰ مهجور في قرية أخرىٰ تبعد عن المقابر قرابة الساعة، يجلس هناك وهو يحاول استحضار بعض الأرواح الشريرة لينتقم من سمير، هو يعلم علم اليقين أنه لن يتركه لينفذ ما خطط له؛ لذا يظلّ التخلص منه الطريق الأيسر، ظل يُخطط، ويختبئ في أماكن كثيرة لكي لا يعثر عليه... حتّىٰ تسنت اللحظة التي سيهجم فيها علىٰ سمير، فذهب متخفيًا في ظلام الليل الدّامس، واقترب من منزله بعد الحصول علىٰ العنوان... كان يتوقع وجوده في المنزل وقتها، ولكن خاب ظنه عندما وجد الشقة خالية!.

وقتها سمير احتاج إلىٰ من يحضر الملفات التي تثبت تزوير وتلاعب الطبيب في الأوراق التي قد نسيها في شقته، فأخذ وليد المفتاح منه، وذهب ليحضرها.

حين وصل... اقترب من الباب ليفتحه... سمع صوت قدم تتحرك ببطء، فتعجب وهو يعلم أن سمير يجلس فيها وحده!.

دلف الباب، وما إن دخل حتّىٰ انقض عليه عثمان، وأخرج السكين، وقام بطعنه عدة طعنات نافذة أودت بحياته... فتفاجأ عثمان منه وهو يظنه «سمير»؛ لذا تخلص منه... وليد لم يكن هو المقصود بتلك الطعنات التي تسببت بخروج روحه إلىٰ بارئها؛ فتركه عثمان وهمّ بالفرار،

في هذه الأثناء كان سمير يحاول الاتصال بوليد لكنه لم يجب عليه فتسلل الشك إليه... لمَ كل هذا الوقت حتّىٰ يحضر بعض الأوراق؟، فنزل من مكتبه، وأخذ سيارته متجهًا إلىٰ المنزل، وعندما صعد الدرج أحس بشيء غريب جعله يهرول مسرعًا... فوجد وليد جثة هامدة أسفل الأرض، والدماء تسيل منه مثل الأنهار، اتسع بؤبؤ عينه، وهمّ يحمله علىٰ كتفه، ونزل به مسرعًا إلىٰ المشفىٰ، لكن وليد قد فارق الحياة قبل أن يصل إلىٰ هناك...





الفصل الحادي عشر

موت الشهيد

خيّم سُكون قاتلٌ عليهِ حتّىٰ أحسّ أن روح صديقه قد صعدت إلىٰ خالقها، قد انقضىٰ عمره، وفارق الحياة التي لم يأخذ منها نصيبًا قط، حياةٌ لم يتسلّل الحب إلىٰ قلبه فيها، لم يتزوج وينجب كما نفعل جميعًا، هكذا كان قدره وهكذا هي الدنيا، حرّك يده قليلًا كقرص لعبة القمار فأحسّ بقلب وليد قد توقّف عن النّبضان؛ رغم ذلك لم يقف مكتوف الأيدي، وأسرع بإدخاله إلىٰ المشفىٰ بكل ما أوتي من قوة حتّىٰ أتىٰ الأطبّاء مسرعين إليه لمَا رأوهُ من كمّية الدّماء التي تسيل من جسده كالنهر الجاري؛ اقترب الطبيب منه، وتأكد أنه قد توفيّ، بالفعل، فنظر إلىٰ سمير ثمّ ربت علىٰ كتفه وهو يقول:

- (البقاء لله)... هل هو أخوك؟.

الشرود لم يتركه لحظة وهو يفكر كيف ينتقم من هذا المجرم؟، لم يُجب علىٰ الطبيب، وتركه وأخذ في طريقه متجهًا إلىٰ منزل عائلة وليد، وأخبرهم بالخبر الذي جعل والدته تدخل في إغماء، وتم نقلها إلىٰ المشفىٰ... مما أسرع بعضهم إلىٰ الانتهاء من أوراق الدفن، ثم غادر سمير متجهًا إلىٰ القسم، فوجد صلاح ينتظره هو ومازن ويبدو أنهما كانا يجلسان منذُ وقتٍ

طويل، دلف باب مكتبه، وجلس علىٰ كرسيه، فدخلا وراءهُ فوجداه يضع يده أعلىٰ رأسه وهو يقول:

- لقد مات وليد.

جلس مازن بجواره وهو يهدئ من روعه قائلًا:

- لقد علمنا بالخبر، ولن نترك حقه مهما جرىٰ.

(يقولون إن رأيت رجلًا يبكي؛ فاعلم أن الحمل قد زاد)، لذا قد تساقط الدمع من عينه وهو يحاول الإمساك به؛ لولا أنها ماتت علىٰ خده وهو يضع يديه علىٰ عينه ليخفي آثارها، فامسك مازن بيده وهو يخبره للمرة الثانية أن حقه سوف يأتي...

قاطع حديثه صلاح وهو يقول:

- لقد توفي وهو شهيد، ألا يكفىٰ هذا أن يُدخل السرور علىٰ قلب عائلته؟، أعلم أن الفراق هو ألم شديد، ولكن الشهادة في سبيل الله هي الفوز العظيم.

رفع سمير رأسه وهو يحاول التّكلم، وكأنّ كلماته قد تلاشت واختفت مرةً واحدة؛ فلا يقوَىٰ علىٰ الحديث، ولسانه قد لجُم؛ فلم ينطق بحرف واحد، وابتلع غصته، وهو يتذكر شكل الدّماء التي سالت من وليد... لم تفارق عينه لحظة،

تابع صلاح حديثه قائلًا:

- كل ما علينا الآن، هو العثور علىٰ عثمان.

رد عليه مازن:

- وهل سيصدر أمر بالقبض علىٰ رجل قد توفي منذ عام؟!.

سمعا سمير الذي خرج عن صمته يقول:

- لابدَّ وأن نستدرجه بالطريقة التي يلعب بها معنا.

رد عليه صلاح متسائلًا:

- كيف ذلك؟.

- حق وليد، وحق كل من تسبب هذا المجرم في رقبتي، وأنا من سيقتل هذا الوغد.

قال مازن مهدأً له:

- لا تدع الغضب يجعلك تنسىٰ.. لابدَّ وأن يعاقب من القانون نفسه... لا تعرض نفسك للمسائلة.

ضحك سمير وهو يقول:

- ومن قال أنني بذلك سأتعرض للمسائلة القانونية... هذا رجل قد توفي منذ عام، هل تعلم ماذا يعني هذا...؟.

وقبل أن يجيب عليه تابع حديثه:

- يعني أنه بالفعل علىٰ الورق قد مات، ليس له وجود ولو قتل سبعين مرةً؛ فلن يحاسب فيه أحد، أنا لن أدع حق وليد يذهب هكذا.

قاطعه صلاح:

- ولكن انتظر قليلًا، هل بقتله ينتهىٰ الأمر؟ هل ينتهي الدجل...؟ هل ينتهىٰ الظلم؟ بل بقتله هكذا تريحه.

- لا يهم، فقط، كل ما أريده هو أن أرىٰ دماءه تسيل مثل ما فعل بوليد، والفكرة التي سنعمل عليها هي اختلاق موتي لكي نطمئن قلبه.

مازن مستغربًا له، ثم اقترب منه قائلًا:

- هو ليس غبيًّا لهذه الدرجة، سيعرف، صدقني، أنا أمتلك خطة أخرىٰ... سنضع له فخًا، وكل ما أريده منك هو أن تجعل القوات التي تحمي المقابر... تترك المقابر خالية لكي يطمئن قلبه ويأتي إلىٰ هناك... تذكر يوم أن وجدنا المفتاح كان مخبأً في قبره، يعني هذا أنه في حاجة إلىٰ إخفاء المفتاح في قبره مرةً أُخرىٰ.

ثم التفت إلىٰ صلاح قائلًا:

- هل تستطيع أن تبحث عن تلك الاسطورة؟، أريد التأكد من أشياء تدور في رأسي ولا أجد لها تفسيرًا.

قال صلاح متسائلًا:

- وما هي؟

- عندما أتت لي ابنة عثمان في رؤية منذ أيام... كان يجلس خلفها، وعندما وجدني ظلّ يقول: أنت القادم، ما فهمته من حديثه أنني الجثة القادمة!.. وأريد أن أعرف لمَ يُخفىٰ المفتاح في المقابر ولا يحتفظ به في مكان آخر؟

أومأ صلاح برأسه وهو يقول:

- حسنًا، سأحضر الحاسوب.

في هذه الأثناء... اتجه عثمان الذي قد تجرد من قلبه البشري، وتحول إلىٰ وحش لا يعرف الرحمة... وكأنّ قلبه هذا لم يذق طعم الرحمة ولا الإنسانية، ولم تتركه ابنته في منامه وهي تذكره بما فعل بها؛ لعل ضميره يستيقظ من غيابات الجب التي ألقىٰ بنفسه فيها، وكانت الفطرة التي فطر الله عليها الناس لم يتبقَ منها ولو نقطة تذكره بربه... بين هذا القلب الأسود قد اجتمعت عنده كل الصفحات التي كان يعظ الناس منها قبلًا وهو يخطبُ فيهم؛ ولكن القلب قد تملكهُ الشّر، والسّحر الأسود الذي قد تغلغل في عينيه ليقوم بقتل ابنته وبعد ذلك أولاده واحدًا تلو الآخر؛ كل هذا لكي يحصل علىٰ قوة لن تنجده من مصير قد كُتب بالفعل وهو لا يعلم!.

وضع بجواره الوشاح الذي يرتديه، ثم أخرج المفتاح وهو يقبله ويقول بهستيريا:

- أنت قلبي، وأنت مخلصي من ذاك العذاب.

ظل يضحك ضحكات شريرة عالية، ثم وضعه في جيبه، وخرج متجهًا إلىٰ منزل آخر لكي لا يقبض عليه، وهو يعلم هذه القاعدة... الذي يطيلُ الجلوس في مكان واحد وهو طريد دائمًا خسارته قريبة، استلقي علىٰ الفراش بعد أن عزّم علىٰ المفتاح بكلماتٍ، ووضع المفتاح تحت رأسه وظل يردد:

- «بشكروش»... «بشكروش» ملك العروش.

رأىٰ في منامه بشكروش كما عوده أن يتم استحضاره عن طريقة التعويذات التي رسمت علىٰ المفتاح، وهذه هي الطريقة

التي يتصل بها إلىٰ خُدّامه من البشر، وضعفاء القلوب، وجده يومها منزعجًا للغاية منه، وهو ينفث الزفير وكأنها حممٌ بركانية تتصاعد وهو يقول:

- كاد سرك أن يُكشف، تذكر يا بشري، الوعد عندنا لا ينقضي إلا بالدماء.

ارتعب جسد عثمان، ورجع إلىٰ الوراء ثم جثا علىٰ ركبتيه طالبًا السّماح وهو يقول بذلّ وهوان:

-لا تغضب يا سيدي، كل ما تريده سيكون... أنا خادمك.

ضحك بشكروش وهو يلقي كلماته بصوت جهوري أجش:

-أنت ضئيل ونحيف الجسد، لن أستفيد جسدك هذا.

قال مستغربًا وهو يتساءل...

- وهل أساعدك لكي أهلك؟

رد عليه وهو ينظر إليه بعينين حمراوين:

- من قال أنك ستهلكه؟، ما أقصده يا بشري هو أنني سأعطيك جسدًا آخر يجعلك أقوىٰ.

تبسم عثمان وهو في دهش حتىٰ اتسع بؤبؤ العين، ثم أردف قائلًا بفرحة كبيرة ملأت قلبه، وطغت علىٰ محياه:

- وهل لديك هذه القوة، سيدي؟

- أستطيع فعل أي شيء... فقط حررني من لعنتي هذه، سترىٰ كل شيء، فقط، كل ما أريده منك هو جسد هذا البشري.

بجوار عثمان صورة أتت من العدم، ووقعت أمام قدميه، كانت تعود لمازن، علم وقتها أن الجثة القادمة ستكون جثة مازن بعد ما يقوم بقتله فقال:

-أنت تريد جسده، أليس كذلك؟

- نعم

فأومأ برأسه، وقال معتذرًا:

- اعذرني، لقد أخطأت عندما قتلت «وليدًا»، لم أكن أقصده.

تبسم بشكروش وهو يقول:

- أنت أحسنت في ذلك، أريد التخلص منهم جميعًا، لا تدعهم يقبضوا عليك...، تذكر، إن تُسجن تقتل... تسجن؛ تقتل.

وظل يردها حتّىٰ استيقظ عثمان فزعًا وهو يقول:

- لن أسجن... لن أسجن.



مكتب الضابط «سمير»

بينما هم مجتمعون؛ يجلس سمير وهو يشرح خطته لمازن، لم يجد تجاوبًا عنده، فجذب يدهُ وهو ينظر إلىٰ عينيه بحدة قائلًا:

- لو تخيلنا أنك جثة دُفنت في المقابر؛ أظن وقتها لن يحتاج عثمان لقتلك بل سيأخذ الجثة، فقط.

قال مازن وهو لم يعِ بعد ما يقوله سمير:

وكيف سنفعل هذا الأمر؟، هل ستقتلني أم ماذا؟

ضحك سمير وهو يقول:

- ولمَ لا...؟

رجع مازن إلىٰ الوراء وهو يقول:

- ما... ماذا تقول؟

علم صلاح القصد من الحديث فقال:

- لقد علمت فيما يفكر، أظنه يريدك أن تدعي الموت، وتدفن لكي يطمئن قلب عثمان، ويقدم علىٰ فعلته.

تبسم مازن وهو يقول:

- أخشىٰ أن نُكشف هذه المرة، هو يعلم أكثر ممّا يجب، لابدَّ وأنها القوة التي تجعله يسبقنا دائمًا بخطوات.

اعتدل سمير وهو يلقىٰ كلماته بثقة قد طغت علىٰ حديثه وهو يقول:

- لن نكشف هذه المرة... أنا أعلم جيدًا كيف يفكر هذا الكلب... ما أريده هو أن تصغىٰ جيدًا لما سأقوله.

أومأ مازن برأسه وهو يقوم:

- إن كان الخلاص من كل ما نحن فيه فيما ستقوله؛ فأنا معك.

تابع سمير حديثه:

- لابد وأن نجعله يُصدق خبر وفاتك، و يصل إليه بطريقة لا تجعل الشك يتسلل إلىٰ قلبه، ويصدق من الوهلة الأولىٰ.

قال صلاح متسائلًا:

- وكيف سنفعل ذلك؟

- لا تقلق، سأفعلها أنا بطريقتي الخاصة..

ثم نظر إلىٰ مازن وهو يقول:

- أظن أن الملك «بشكروش» هذا لم يضع الاختيار عليك من العدم... بالتأكيد، هو يرىٰ فيك شيئًا مختلفًا يميّزك عنا؛ لذا وقع الاختيارعليك.

رد مازن وهو يحاول أن يفكر في الأمر برمته لِمَ تم اختياره هو خصيصًا عن الجميع؟، فقال:

- أظنه يرىٰ شيئًا لا أراه.

تبسم سمير وهو يقول:

_ ستراه قريبًا، لا تقلق.

اتفقا علىٰ الخدعة التي ستنفذ في عثمان لكي تجعله يصدق وفاة مازن... وبالفعل، بدأ اليوم التالي بسيارة أتت مسرعة وتسببت في نقل مازن إلىٰ المشفىٰ، عمل صلاح علىٰ إشاعة الخبر في المدينة بأكملها، حتّىٰ جاءت إحدىٰ الجرائد، ونعت الخبر، كل هذا تحت علم القيادات، لم يخبر سمير والد مازن بالحقيقة... ليتأكد من أنه سيحزن بشكل طبيعي، لكي يجعل عثمان يشك في الأمر.

نزل الخبر علىٰ قلب والده كالصاعقة فأتعبه، توجه إلىٰ المقابر كانت قدماه تتحركان ببطء شديد، كادت لا تحمله غير الدموع التي بدأت بالتساقط من نفسها دون توقف،

حضر الشيخ «صلاح»، وظل يهدئ من روعه، لم يلاحظ أحد أن عثمان بينهم، وظل معهم وهم يدفنون الجثمان، أخرج والد مازن الجثمان، ووضعه في القبر، لكنه أحس بنبضات ولده بين ذراعيه، فأنزله إلىٰ الأسفل وهو ينظر إليه في دهشة قد لجمته عن الحديث، واتسعت عيناه وقبل أن يتفوه بكلمة واحدة... وجد صلاح يضغط علىٰ يده وهو يقول بصوت أقرب للهمس:

- هو حي، ولكن لا تتكلم، أرجوك، هذا كله ضمن الخطة وفي مصلحة ولدك... سأشرح لك الأمر، ولكن بعد أن يذهب الجميع.

ابتلع والده غصته تلك التي أشبه بالذي يعاني من شيء ما، ووقف مكتوف الأيدي، خرج الجميع من القبر، وأخذ العزاء؛ بينما الناس في حزن وأسىٰ علي فقدان مازن... ذاك الشاب الخلوق الذي لم يحيَ، بعد، الحياة التي أرادها... الحياة التي نحارب فيها لكي نحصل علىٰ اللاشيء...

غادر الجميع ولم يبقَ إلا والد مازن، ومعه صلاح، جلسا بجوار قبره يتحدثان، فشرح له صلاح الأمر برمته... نظرة الفخر التي اعتلت وجه والده وهو يقول:

- ولدي تحمل كل هذا ولم يرد أن يقحم اسمي في هذا الأمر؟!، وتحمل أن يجلس في القبر دون أن يخشىٰ شيء؟!، كل هذا لإظهار الحق... حقًا، أنا أفتخر به.

قال صلاح وهو يلتفت خلفه ثم نظر إليه:

- نحن مراقبون... لا أريدك أن تغير ملامح وجهك، كن حزينًا كي لا يشك في الأمر.

أومأ برأسه وهو يقول:

- حسنًا، ولكن كان لابدَّ وأن تخبرني بكل هذا، لكي لا يجعل قلبي يحترق علىٰ فراقه هكذا؛ والضابط - أيضًا- لم يفعلها، أنا أعتب عليكما.

- خشينا أن يلاحظ عثمان.

- أن أعلم أن ولدي الذي توفي منذ ساعات... مازال علىٰ قيد الحياة!... الأمر ليس بهذه السهولة.

- لم يخبرك؛ لأنه يعلم أن التعامل مع عثمان لابدَّ وأن يكون فيه نوع من الحذر؛ وعثمان كان ليعلم من تعابير وجهك أنه فخ أعد له... رجاءً، التزم بالخطة، اتفقنا؟، سنخرجه، لا تقلق، وهو معه جهاز تنفس أيضًا.

- اتفقنا.

- هيا، لابدَّ وأن نذهب الآن، وأريد منك أن تمثل أنك لم تعد تستطع السير، واتكئ عليّ.

ثم غادرا المقابر وهو يقول له:

- لا تقلق عليه، صدقني، هو سيكون بخير، المكان هنا مراقب بالكامل، ومازن يعلم جيدًا ماذا سيفعل.



بينما يجلس مازن في ظلام القبر الحالك... أخذ يتحسس بقدميه المكان، ثم أغمض عينيه... وجسده قد أصابته الرعشة الفجائية والقشعريرة، فابتلع غصته كالذي يعاني من مرض، وهو يحاول التماسك حتىٰ يأتي عثمان، ويقترب من القبر ليقبضوا عليه... وهذا ما لم يحدث!...

أحس أن عثمان قد فطن إلىٰ ذاك الفخ الذي قد أعدّ له؛ لأنه لم يأتِ ليأخذ الجثمان، ولم يعد يحتمل مازن المكوث أكثر من ذلك، كتم أنفاسه وهو يتقوىٰ علىٰ خوفه، ويحمل المسدس الذي قد أعطاه سمير له، ينتظر علىٰ أحر من الجمر.

سمع صوت قدم تقترب من باب القبر، ثم اختفت تلك الأصوات وكأنها لم تكن موجودة من الأصل!، تعالت الضحكات الساخرة التي ألقت الرعب في قلبه، وهو يظن أن عثمان قد علم بالأمر، سمع بصوت طرقات وكأنّ أحدهم يطرق بمطرقة، كاد القفل أن ينكسر، فرجع مازن إلىٰ الوراء مصوبًا سلاحه نحو الباب وهو يتعرق بشدة، ويمسك السلاح بقوة تجعله يرتعش، وما إن انزلق القفل وفُتِح الباب لم يجد أحدًا أمامه، فتعجب وهو يقترب من الباب محاولًا اختلاس النظر فلم يجد أحدًا!.

خرج وهو يلتفت حوله حتّىٰ سمع نفس الضحكات التي قد علت، فالتفت مسرعًا... لا أحد، الصوت يعلو ولا يظهر أحد، نكص علىٰ ركبتيه وهو يرفع يده معلنًا الاستسلام ظنًا منه أنه بهذه الطريقة سيطمئن عثمان، و يظهر نفسه، ولكنه لم يظهر، واختفىٰ الصوت مرة أخرىٰ، أغمض عينيه وهو يحاول الإمساك بأنفاسه

التي بدأت بالهرب منه، فسمع صوتًا لم يعلم وقتها صوت من هذا، هل يعود لعثمان أم لاحد آخر؟، وهو يقول:

- من يمتلك المفتاح يتسبب في رسم اللعنة، وكتابة التعويذة علىٰ أجسام الجثث؛ فسيتملك حينها القوة عند نهر جارٍ... هذا كل ما تعلمه، أليس كذلك؟.

اعتدل مازن وهو يستدير، ولكن هذه المرة وجده يقفُ أمامه بكل ثقة، ويرتدي جلبابه الأسود، وجهه كان مغطىٰ كالذي يخشىٰ أن يتعرف عليه أحد... رد عليه مازن:

- نعم هذا كل ما أعرفه، أنت ذكي جدًا كما أخبروني، إذن.

ظل يقترب منه وهو يعلم أن بحوزته السلاح وهو يقول:

- يبدو أنني نسيت أن أخبرك أن السلاح الذي بحوزتك لا يعمل.

نظر مازن إلىٰ السلاح، ثم أخرجه وهو يوجهه نحو عثمان فتعالت ضحكاته وهو يقول:

- أنا حقًا خائفٌ... هيا، اقتلني، يا فتىٰ.

ضغط مازن علىٰ الزناد بقوة فلم تخرج الطلقة فنظر إلىٰ عثمان وهو يقول:

- هل حقًا صدقت أنني عثمان أو أنني لا أعلم أنكم خططتم لهذا الفخ؟، تعلم، كان ينقصك شيء مهم.

وقع المسدس من يده وقد لجمته الصدمة وهو يقول:

- ما.. ماذا تقول؟!.

- أنا خادم المفتاح، مسخر لحمايته من التلف، أمرني سيدي أن أتأكد من أنك قد تركت هذه الحياة أم هذا فخ قد وضعتموه؟.

- سيدك!... من هو سيدك هذا؟.

- عثمان، أنا خادم له حتىٰ يحرر اللعنة ثم... ولم يكمل، فقال مازن:

- ثم تقتله، أليس كذلك؟.

- لا يسمح لي أن أخبرك بشيء غير أنني سأقول لك إنك أنت المختار ولن تَمُوت.

ثم اختفىٰ في لمحة البصر وكأنه لم يكن موجودًا من الأصل.

وقع مازن علىٰ الأرض وهو يضرب يده بقوة من شدة الغضب التي قد اعتلت وجهه من فشل الخطة التي قد وضعها سمير؛ ولكن تبين الأمر أن الجن يلعب دوره علىٰ أكمل وجه، كانت الكاميرات التي قد وضعت لمراقبة المقابر ترصد تحركات مازن المريبة التي جعلت صلاح يتعجب منه، لمَ يخرج من القبر بهذا الشكل ويتحرك وكأنه يرىٰ أحدًا؟!... وكيف انزلق القفل وانكسر بهذه السهولة؟! لفت انتباهه تحرك شفتيه، يعني هذا أنه يتحدث مع أحد.!

ترك صلاح مكانه في عربة المراقبة، ودخل المقابر مسرعًا فوجده ملقىٰ علىٰ الأرض فهرول إليه وهو يقول:

- ما الذي حدث؟

ضحك مازن من شدة همه وحزنه وهو يقول:

- لقد خدعنا جميعًا، عثمان يستطيع أن يفعل أكثر مما توقعنا،

جذب يده بقوة وهو يقول:

- أخبرني، ما الذي جرىٰ؟

- عثمان أرسل خادم المفتاح بدلًا عنه.

- كيف هذا؟.

- أنا لم أخرج من القبر إلا عندما سمعت صوته وهو ينادي، ورأيته بعيني هاتين وهو يقف أمام القبر...غير هذا المسدس الذي لم يعمل من الأصل.

- كيف؟!.

- هذا ما لم أفهمه حتّىٰ الآن، هل قرأت في الأسطورة عن خادم المفتاح هذا؟!.

اعتدل صلاح وهو يقول:

- لا، ولكن هو لا يساعده بل يحمي المفتاح، بالتأكيد علم أن هلاكه قد اقترب، لذا فعل ما فعل، أخبرني، هل أخبرك بشيء آخر.

- أخبرني أنني المختار.

- ما... ماذا؟.

- كما سمعت... هو يريد أن يحصل علىٰ جسدي، لا أعلم مصيرعثمان حينها، أظن أنه سيتخلص منه حين يحصل علىٰ جسدي!.





الفصل الثاني عشر
شمشُون بَحْكَرُوم

في منزل مهجور منذُ زمن بعيد بجواره حديقة قديمة قد تركها الجميع يختبئ هناك عثمان، هو لا يعلم ما الذي سيحدث له حين تتحرر تلك اللعنة وتخرج للعالم، لكنه يحسب أنه يحسن صنعًا، أخرج من جيبه عدة ورقيات توجد بها أسماء كثيرة، فأخرج من بينهم التي تحمل اسم سمير، ووضعها جانبًا، ثم أخرج التي تحمل اسم صلاح ووضعها بجوارها، وأخرج اسم مازن ووضعه بعيدًا عنهما ثم أتىٰ بكوب ماء وقرأ عليه بعض التعويذات وهو يقول:

- «شمشُون بَحْكَرُوم» مقطع الرّؤوس، وهالك العقول... أهلكهم في التّيه، ولا تترك فيهم ناصرًا، ولا أحدًا إلا هلكته.

وما إن انتهىٰ من تلاوة تلك التعويذات؛ حتىٰ ظهر خلفه كائن غامض لم يظهر من هيئته غير قدميه التي تشبه أرجل الماعز؛ ثم صدر منه صوت جعل جسد عُثمان يرتعش وهو يقول:

- أعتذر، سيّدي، لم أكن أريد أن أستدعيك في مثل هذا الأمر اليسير، ولكن الأمر قد تعسّر معي ولا أستطيع حل الأمر إلا بك... تقطعت السبل ولا يوجد غيرك، يا أمير.

أخرج ذاك الكائن ورقة متهالكة، ثم أسقطها أمام ناظريه فوقعت وراءها قطرات من الدماء التي بدأت بالتساقط من يدي

ذاك الكائن، بينما ينظر عثمان إليها فوجدها قد احترقت من تلقاء نفسها؛ وما إن استقرت علىٰ الأرض حتّىٰ اختفت، فقام عثمان وهو يقول:

- أمرك، يا سيدي.

ويكأنه قد فطن إلي الأمر، فأخذ الأوراق، وترك الورقة التي تحمل اسم مازن، ووضع الأوراق التي تحمل اسم سمير، وصلاح أسفل الأرض، وأخرج سكينًا، وجرح إصبعيه، وجعل الدماء تتساقط علىٰ الأوراق، ثم تلا علىٰ الكوب الذي كان يحمله بيديه الأخريين بعض التعويذات، ثم أغرق الأوراق في المياه وهو يضحك بهستيريا، وكأنه قد جنّ ثم ابتعد عنهما، فلاحظ الأوراق تتطاير في سقف الغرفة حتّىٰ التصقت بالأعلىٰ وهو ينظر إليها، فوقعت وهي تحترق، فأخذ ما تبقىٰ منها ووضعهن في كوب آخر، وتلا عليهن التعويذات ودفنهن في المنزل.



مكتب سمير...

يجلس في مكتبه ومعه صلاح ومازن... ظل سمير يعاتب مازن قائلًا:

- لمَ خرجت من القبر قبل أن أخبرك؟، أنت بفعلتك هذه قد أفسدت الأمر برمته، الآن، هو يعلم أننا كنا نعد له فخًا، ولن نستطيع أن نستدرجه بسهولة بعد اليوم.

اعتلت الحدة وجه مازن وهو يقول بصوت عالٍ:

- أنا لم أفسد شيئًا، أنت من أفسد الأمر كله، تعلم، لمَ لأنك لم تفعل شيئًا ولا تعلم ما الذي حدث هناك...، ومرة أخرىٰ -أيها الوغد- لا تتحدث معي بهذه الطريقة، أفهمت...؟، وأنا أعلم ما تريده.

تعجب صلاح من قول مازن فرد عليه سمير قائلًا:

- وماذا أريد؟.

ظل صوت مازن يعلو وهو يقول:

- أنت تريد الترقية ليس إلا؛ وأنا أعلم ذلك، لا يهمك أمر البشر في شيء.

ثم ترك الغرفة وخرج مسرعًا، اقترب منه صلاح هامسًا في أذنيه وهو يقول:

- مازن لا يتصرف هكذا، بالتأكيد، قد جرىٰ له شيء ما.

جلس سمير ممسكًا رأسه عن الألم وهو يقول:

- لا يهم هو أم أحد آخر، كل ما يهم هو أن أجد ذاك الكلب قبل أن ينفذ خطته.

❀ ❀ ❀

اتجه مازن نحو منزله حتىٰ استوقفته لافتة مكتوب عليها شارع اللعنة، أحس بشيء غريب ألقىٰ الريبة في قلبه... لمَ يتم تغيير اسم الشارع بذلك الاسم الغامض؟، لم يكترث للأمر كثيرًا، فلما وصل باب منزله طرقه ففتحت له زوجة والده وهي في فرحة

قد غمرت قلبها عندما وجدته يعود إلىٰ المنزل بعد كل ما حدث؛ لم يبادلها تلك الابتسامة التي قد ارتسمت علىٰ محياها، وتركها، ودلف باب غرفته التي لم يدخلها منذ أشهر، وجثا علىٰ ركبتيه ليسحب حقيبه زرقاء كانت تحتوي علىٰ عدة صور تجمعهُ بوالدته... لم يحتمل السيطرة علىٰ تلك الدموع أكثر من ذلك... تركها تنزلق أمامه، شعر بشعور ملحٍ بالبكاء كصغير يحبو... حتىٰ سمع صوت أمه... سمع حينهًا قدم تقترب من الباب ببطء شديد علم أنها زوجة والده، لم يدع لها فرصه لكي تعمل علىٰ التلصص عليه، لاحظ جيدًا خطواتها المتلصصة فقال وهو يفتح الباب علىٰ مصراعيه:

- لماذا تتلصصين عليّ؟، هيا، اذهبي.

فرجعت القهقرىٰ وهي تنظر إلىٰ عينيه التي مُلئت بالغضب؛ فهي لم تعهد عليه الغضب بهذا الشكل حتىٰ زادت الحدة من توتيرها بعدما كان يخجل من النظر إلىٰ وجهها؛ ولكن؛ الان، يعلو صوته ويعنف الآخرين، تركته مسرعة إلىٰ غرفتها، وتدثرت في فراشها في صمت شديد وهي تبكي.



ظل عثمان يسعىٰ إلىٰ إنجاز تلك المهمة التي صعبت عليه... مقتل مازن أصبح شيئًا عسيرًا... لم يكن يعلم مازن أن الغضب الذي قد تملك محياه و طغىٰ علىٰ لون عينيه ما هي إلا لعنة شمشون الذي سيطر علىٰ عقله؛ لكي يبعده عن صلاح وسمير وها هو قد أبعدهما، بالفعل.

تطور الوضع، وتغيرت تصرفاته المبالغ فيها مما أكد الشك الذي بدأ يتسلل إلىٰ قلب صلاح، فذهب يومها ليقنع سمير أن مازن قد سُيطر علىٰ عقله، فتفاجأ من قول سمير وهو يخبره أنه يعلم بالأمر منذ البداية... فاطمأن قلبه، وعمرته السعادة أن سمير قد فطن إلىٰ ذاك الأمر برمته؛ فسمعه يتبع حديثه قائلًا:

- علمت من الوهلة الأولىٰ أن مازن قد سُيْطر عليه... أنا أعرف «مازنًا» جيدًا، وأعلم أنه لا يتحدث بهذه الطريقة، لذا قررت أن أظهر أمامه أنني غاضب منه؛ ليس لأجله؛ بل لأنني أعلم أنّ عُثمان يراقب كلّ هذا فكان من اللازم أن أمرر الأمر ليبدو طبيعيًّا، وأعلم كيف سأستعمل مازن هذه المرة بطريقة صحيحة.

ردّ عليه صلاح بفضول:

- وكيف ستفعل هذا؟.

- هو يسعىٰ في أن يبعدنا عنه، ليستفرد به، ويحصل علىٰ جسده... أليس كذلك؟.

- بلىٰ.

- وأنا سأبتعد عنه.

- ومازن لو تسبب تركنا له بقتله؛ فكيف يكون الوضع وقتها؟.

ضحك سمير وهو يقول: يبدو أنك لم تقرأ الأسطورة جيدًا التي شغلت بها عقولنا.

تعجب صلاح قائلًا:

- لا، بالطبع، لقد قرأتها أكثر من مرة.

جلس سمير علىٰ مكتبه، وفتح الحاسوب، وبحث عن الأسطورة، ثم أشار إلىٰ السطر الذي بالأسفل، كان مكتوبًا فيه:

«عندما يمتلك المختار المفتاح، ويقتل الأحب إليه، ثم يكتب التعويذات علىٰ أجساد الضحايا؛ تتحرر حينها روح الملك الحبيسة بجوار نهر جارٍ؛ ولابد وأن يلقىٰ المفتاح بقوة يديه وهو يقول التعويذات بصوت عالٍ، وقتها يكون قد تحرر الملك الحبيس في ذاك المفتاح ليخرج إلىٰ العالم علىٰ هيئة المختار، وله القوة في التجسد في أي جسد أراد بشرط أن يكون حيًا غير ناقصٍ من شيء»... هل تعلم ما معنىٰ هذا الحديث؟.

رمقه صلاح بنظرة تعجب فهو لم يقرأ هذه الأسطر من قبل، ولم تكن موجودة من الأصل!؛ فقال:

- لم تكن هذه الأسطر الأخيرة التي قرأتها لتوك موجودة، ولم أقرأها، بالفعل، ولو صح هذا الحديث؛ يعني هذا أنه لن يستطيع قتل مازن إن كان هو المختار، تعلم، هذا يفسر لمَ أراه يبعدنا عنه بهذا الطريقة.

ترك سمير الحاسوب وجلس بجوار صلاح وهو يقول:

- في الحقيقة لم أكن أثق فيه منذ البداية... ظننته هو الذي يفعل كل هذا، ولو كنت أنت مكاني؛ لظننت نفس الظن، شاب يدخل المقابر ليلًا، وهو الوحيد الذي لا يُمس ولا يخطف،

والأموات تسرق جثثهم، وهو الرابط والشاهد الوحيد في هذا الأمر... تعلم، ماذا يعني هذا؟.

- تقصد أنه يعمل علىٰ مساعدة عثمان؟.

قالها بدهشة غير مصدق.

فرد عليه سمير:

- كنت أظنه كذلك؛ لكن الآن فلا.

- كيف ذلك؟!.

- يبدو أننا في لعبة من صنع هذا الدَّجال.

أثناء عودة صلاح من عند سمير شعر أن أحدًا ما يراقبه، فتحرك بخطواتٍ سريعة خشية الأذىٰ، أحس أن شيئًا ما غريب قد حدث، لاحظ المكان من حوله يتغير - فجأة-، تبين له أنه بجوار المقابر!، ظل يسأل نفسه كيف أتيت إلىٰ هنا؟!.

حتىٰ ظهر عثمان، شعر أنه هو بين كل هذا الظلام، كان يخرج من بين المقابر كالذي يترقب شيئًا ما يحدث، ثم ألقىٰ بكلمات وهو يقول:

- إن كنت تريد بمساعدتك هذه... القوة؛ فستعطىٰ، ولكن ابتعد عنه؛ فبدونه لن أصبح شيئًا.

وظل يكررها بصوت عالٍ حتىٰ وجد نفسه علىٰ طريق سريع؛ فاصطدم بسيارة لم تكن مسرعة، ونقل علىٰ أثرها إلىٰ المشفىٰ، فوصل الخبر إليهم، ذهب علىٰ الفور مازن ليطمئن عليه، كانت

حالته لا يرثىٰ لها، جلس بجواره وهو يتحسس نبضه، وربت علىٰ يده وهو يقول:

- (شفاك الله)، يا صديقي.

تبسم صلاح وهو يفتح عينيه:

- لا تقلق عليّ.

نظر إليه وهو يقول:

- ما الذي حدث لك؟.

- لا أعلم، بالتحديد؛ قد تحول كل شيء من حولي، رأيت المقابر مرة ثانية دون أن تخطو قدمي نحوها- ولو خطوة واحدة- ، عثمان يريدك يا مازن!.. وأظنه يسعىٰ للسيطرة علىٰ عقلك.

رجع مازن إلىٰ الوراء قليلًا في دهشة:

- كيف يسيطر علىٰ عقلي ومن أخبرك؟.

-عثمان يعلم علم اليقين أنه بدونك لن يستطيع فعل شيء، أنت المختار ليس هو!.

جلس كالّذي صدم من تلك الكلمات، الشك -أيضًا- كان يُخبره دائمًا بأنه المختار دون أن يُصغي له، فقال سائلًا:

- ما الذي يثبت أنني المختار؟.

اعتدل في صعوبة وهو يتكئ علىٰ جنبه الأيسر محاولًا الجلوس معتدلًا وهو يقول:

- الأسطورة لم نقرأها كاملةً!.

- ماذا يعني هذا؟.

- عثمان كان يتلاعب بنا منذُ البداية، وهو علىٰ علم بكونك المختار.

شرد مازن وهو يقول:

- وماذا سيعود عليه من كل هذا وهو يعلم أنني المختار؟.

لمح صلاح شروده فقاطعة قائلًا:

- أعلم فيما تفكر، ولكن إن حصل عليك؛ فسيحرر اللعنة.

بينما يتبادلون الحديث دلف عليهم سمير الباب وهو يبتسم قائلًا:

- كيف أتيتَ قبلي؟.

جلسوا يتحدثون حول خطة يستطيعون من خلالها القبض علىٰ عثمان، وفي نهاية حديثهم أخبر صلاح مازن بأن يحصن نفسه من عثمان، ويمنعه من الولوج إلىٰ عقله، أوما مازن برأسه بأنه سيفعل ما أخبره به، ثم ذهب إلىٰ منزله، وأغلق باب غرفته وهو يفكر فيما تحدثوا فيه.

أخذ عثمان يُعدُّ كل شيء لكي ينظم لهذه الروح مراسم تليق بتحريرها دون التفكير في عواقب ما يقدم علىٰ فعله، ظل يتمتم بكلمات غير مفهومة، وأخرج من جعبته صورة مازن التي لطالما احتفظ بها، وأخذ يتلو عليها بعض التعويذات التي أراد بها السيطرة علىٰ عقله لينهي.

بينما يجلس مازن في غرفته شعر بصوت مزعج مثل الرنين كاد يقسم رأسه إلىٰ نصفين من شدة الألم. . . فأمسك رأسه وهو يضغط علىٰ أسنانه حتّىٰ وقع أرضًا، ومن ثمة اعتدل، ولاحت ابتسامة شريرة علىٰ شفتيه، وظل يضحك دون سببٍ مقنع لضحكاته المريبة!.

من سمع تلك الضحكات كانت زوجة والده، شعرت بشيء غريب لم يكن مازن بهذا الشكل، أحست أن ما كان يتحدث عنه في بداية الأمر شيء حقيقي!.

جلست في غرفتها وهي تفكر فيما يحدث معه، وما خطر إلىٰ ذهنها. . . هو أن تتصل بوالده وتخبره، فأخرجت هاتفها لتجري الاتصال؛ لولا أنها سمعت صوت الباب يفتح ببطء شديد، وخرج أمامها مازن وهو يتحرك وكأنه رجل آلي لم يلتفت إليها، شفتاه كانتا يتحركان وكأنه يتلو كلمات بصوت منخفض أو كالذي يسبح بمسبحته!، ثم تركه متجهًا إلىٰ خارج المنزل، وما إن وصل إلىٰ باب الشقة؛ رمقها بنظرة جعلت جسدها يقشعر، لم تحرك ساكنًا، خرج وكأنه يعلم أين وجهته، التفت مرةً أُخرىٰ، ودلف الباب مسرعًا متوجهًا إلىٰ المطبخ، واستل سكينًا ليطعنها، كان يخيّل له أنها عثمان، تصرفاته توحي بأنه قد طاش عقله، اتسعت عيناها في صدمة قد لجمتها عن الحديث؛ فابتلعت غصتها في خوف وهي ترجع إلىٰ الوراء، خرجت منها صرخة مدوية هتكت سكون الليل؛ فهرع من بالخارج أثر صرخاتها، أفلتت يده

واختبأت في غرفتها محاولة التماسك، ظل يحطم الباب بركلاته القوية وهو ينهرها قائلًا:

- سأقتلك يا عثمان، هل تسمعني!؟.

سالت الدموع منها مثل الأنهار، كاد خوفها يقتلها وهي تتوسل إليه من الداخل، بينما حاول عدد من الرجال تحطيم الباب والدخول إليها، أخرج أحدهم هاتفه وأخبر الشرطة، أتىٰ البلاغ إلىٰ القسم وعلم سمير بالأمر، أخذ سيارة ومعه قوة وذهبوا إلىٰ منزله.

شرد سمير وهو في طريقه وهو يفكر... لماذا يتصرف بهذا الشكل؟، هل من الممكن أن يكون قد سُيطر عليه إلىٰ هذه الدرجة؟، ولمَ يحاول قتل زوجة أبيه؟.

كل هذه الأسئلة ظلت تدور في رأسه حتىٰ وصل، وقام أحد بتحطيم الباب حتىٰ أنهم انقضوا عليه قبل أن يدلف عليها باب غرفتها... حاولوا أن يقاوموه؛ فظل يلوح بيديه مهددًا لهم بالسكين وهو يقول:

- من يقترب مني؛ فسأقتله.

ابتعد الجميع عنه وأتاحوا له فرصة الهرب بكل يُسر، لم يتردد ولو للحظة واحدة فخرج مسرعًا، ظلّوا يهدءون من روعها حتىٰ أتت الشرطة، ودخل سمير ورأىٰ شكلها وهي في ذعر، قد حكىٰ له كل ما حدث.

تكالب عليه الناس ليخبروه بما حدث، قد ضاق خلقه وهو يحاول الاستماع لهم؛ فقال بغضب شديد:

- لا أريد أن أسمع ما حدث، هيا، اذهبوا.

أمر قواته بإخراج الجميع، ودخل ليجلس معها ليسمع ما حدث منها، نظراتها وانكماشها في نفسها يدل علىٰ أن «مازنًا» لم يكن يهددها فقط؛ بل أراد قتلها بالفعل!.

رفعت رأسها ثم أردفت قائلة:

- لم يكن هو.

جلس سمير بجوارها محاولًا استيعاب ما قالته:

- كيف هذا؟.

- لا أعلم، ولكنني رأيتُ في عينيه هيئة شيطان، أنا مؤمنة بما قاله في البداية هو لم يكُن يحلم!.

اقترب منها مصغيًا لحديثها متسائلًا:

- وماذا قال؟

تنهدت تنهيدة لتخرج ما فيها من خوف وهي تقول:

- ما حدث لصديقه، ووالده، واختفاء الجثث... أنا متأكدة من أن ثمة شيء ما يحدث هنا ليس طبيعيًا.

طمأنها بأن كل شيء سيكون علىٰ ما يرام، وخرج وهو يفكر... أين يكون قد ذهب؟.

بينما اتصلت هي بزوجها، وأخبرته بما فعل «مازن» ولده.

طلب الحساب من المشفىٰ التي قد انتقل إليها بعد دفن مازن مباشرةً غير أنه كان علىٰ تواصل مع صلاح، فطلب المغادرة في قلق قد ملأ قلبه، لم يكن يتخيل أن مازن لن يتركه يسعد في حياته، كان الخوف يتسارع ليذكره بالذنب الذي ارتكبه منذ زمن بعيد حين اتهم زوجته في شرفها وهو يعلم علم اليقين أنها بريئة؛ أشياء كثيرة كانت تطغىٰ علىٰ تفكيره... وهو يقول في نفسه:

- ما سبب التغيير المفاجئ الذي حل لمازن؟!.

لم يكن يصدق ما تحدثت زوجته عنه، تلك اللعنة التي يسعىٰ دجال إلىٰ تحريرها!، وأسطورة قد تم التلاعب بها!...

مرّ اليوم بسلام وقد وضع سمير حراسة مشدّدة علىٰ منزل مازن خشية أن يرجع إلىٰ زوجة والده مرةً أُخرىٰ إلىٰ أن يعد زوجها؛

استقبلته بوجه عابس وهي ترحب به، وتأخذهُ بين أحضانها، أبعدها بيديه وهو يقول:

- أخبريني، ماذا فعل بكِ؟!.

قالها في قلق فجلست والحزن يملأ وجهها، ثم أردفت قائلةً:

- لم يكن هو الفاعل، ولدك قد جُن.

لم يستوعب تلك الكلمات القليلة وقال في عصيبة:

- ولد من الذي قد جُن؟!، يبدو أنكِ أنتِ من جُننتي.

- مازن ليس هو الذي أعرفه، ما أعرفه شاب خلوق يعلم متىٰ يلقي بالكلمة، ومتىٰ يتحلىٰ بالصبر، غير أنه بدأ يفعل أشياء مريبة يكتنفها الغموض، أراه يتحدث مع نفسه وكأنه يحدث شخصًا يراه!.

جلس والده وهو في شرود قد طغىٰ علىٰ محياه... ما الذي حل بمازن؟؛ لابدَّ وأنه قد مسَّه شيء من الجن، ثم نظر إلىٰ زوجته، وكأنه مازال يفكر قائلًا: هل تحدث بصوت غريب، أو ذكر أسماء جَان؟.

اقتربت منه وهي تقول:

- هل تظن أن مازن قد أصابه مس من الشيطان؟

- نعم.



خرج مازن هائمًا علىٰ وجهه كالذي أصابه مس من الشيطان، يبحث عن ضالته دون إرشاد من أحد، وجهته كانت المقابر... هذا المكان الذي بدأ فيه كل شيء، تذكر وجه سليم -الأبكم- حين رآه للمرة الأولىٰ، من هنا بدأت المشكلات بالوصول إلىٰ ذروتها، ما شغل عقل مازن وقتها... أين يجد عثمان، شيء ما ولج إلىٰ قلبه ليخبره أنه مجبر علىٰ المضي قدمًا نحو المقابر، حينها توجه إلىٰ الداخل، وجلس بجوار قبر أمه كما تعود... حتىٰ لاحظ رجلًا عجوزًا يتكئ علىٰ عصاه وهو يقترب منه ومن ثمة...



الفصل الثالث عشر
كشف الستار

ظهر علىٰ حقيقته، وكشف الستار عن نفسه دون خوف من أحد، اعتدل مازن وهو يقف ناظرٌ إليه، الخوف لم يجد مدخلًا يدخله إليه، ظهر مازن قويًا غير الذي عاهده عثمان منذ أن عرفه، تبسم مازن قائلًا:

- ما الذي عاد عليك من كل هذا؟.

ظل يقترب عثمان وهو يحمل عصًا صغيرة قد أخذها أثناء سيره، وظل يدور حوله محاولًا التسبب له في قلقٍ وتوتر، فتابعه وهو يدور في اتجاهه، لم يجعل عينيه تغفل ولو للحظة واحدة، يراقبه في كل نفس يتصَاعدُ من فمه... حتىٰ توقف عثمان وهو يقول مبتسمًا:

- أرىٰ أنك قد تغيرت، إذن، أظن أنني قد علمت لمَ وقع الاختيارعليك بعد كل هذا، تعلم حين ذكر اسمك أمامي أول مرةً عجبت لأمر الملك... لمَ يحتاج إلىٰ شخص مثلك لا يستطيع أن يحمي نفسه من الأساس؟، ولكن الإجابة ظهرت عليك جليا الآن، ألم تلاحظ أنك لم تخف منىٰ؟، هل لأنك علمت أنك لن تقتل؟.

رجع مازن إلىٰ الوراء قليلًا ناحية قبر أمه وهو يقول:

- لطالما كنت أخشىٰ الموت، لكن لو قتلت فيك؛ لهي سعادتي... رجاءً، أخبرني، كيف تتحمل قتل أولادك بدم بارد هكذا...؟، أخبرني، هل بكيت يومًا علىٰ أحد منهم بعد قتله؟.

بدا الحزن علىٰ وجه عثمان وهو يبرر قتل أولاده قائلًا: الحياة شيء معقد للغاية، لن تعي ما سأقوله لك... لطالما أردت أن أجعلهم يحيون كما أرادوا؛ لكنني لم أستطع فسلكت طريق الهرة التي قتلت أولادها خشية إملاق.. حين تم اختياري وتكريمي من الملك لكي أحمل هذا المفتاح، وأحرر قوة ستجعل الحروب تختفي من العالم أجمع، اللعنات تحمي العالم من بطش من يتحكمون فيه.

ضغط مازن علىٰ أسنانه غيظًا منه وهو يقول: يا لك من أحمق!، قد تخلص من أولاده من أجل شيء لا يعرف حقيقته، أنت ستهلك حين يظهر الملك هذا، ولن يعود لك مكان في هذا العالم، هل تعلم إلىٰ أين سترحل...؟ إلىٰ عالم آخر ستعذب فيه، ستجد ابنتك تلك التي تسببت في انتحارها، وأولادك الذين قطعت رؤوسهم دون شفقة منك، سيأخذ كل واحد حقه منك.

نظر إليه عثمان مستغربًا وهو يلقي بكلمته في ترقب: كيف علمت بأمر ابنتي؟.

- هي أتت إليّ تطلب حقها منك، ابنتك مازالت تحيا بروحها... لكي تفشل خطتك هذه... -أيها اللعين-.

ضحك بصوت عالٍ وهو يقول: ابنتي لن تستطيع أن توقف شيئًا بدأته دون رجعة فيه، تعلم، أنا أخطط لهذا الأمر منذ زمن،

وما كان مقتل عبد الرحمن، وولده إلا لجعلك تهتم بأمر تلك اللعنة، كل ما حدث كان لابدَّ وأن يحدث... هكذا أمر سيدي - ملك العروش-، هيا، تعال معي.

ابتعد عنه مازن ثم أخذ يسرع نحو الخارج، نبضات قلبه كانت تسمع من الخارج بتسارع كبير وبقوة تُخيل لك أن قلبه سيقفز من الخوف الذي رجع إليه؛ يبدو أنه سحب منه حينها كي يتحمل الحديث مع عثمان!.

ذهب متجها إلىٰ منزل صديق له دون أن يعلم أحد، بات ليلتها وهو يتعرق كنهر جارٍ حين غروب، وارتفعت حرارته، كاد أن يدخل في إغماء، أتت الفتاة في حلمه بفستان أبيض تجلس صوب بحر تتعارك أمواجهأ وتتلاطم من قوتها قطرات من الماء تتسلل خارج المياه، وتستقر أعلىٰ الفستان، نظرات ابنة عثمان كلها تفاؤل وهي تقترب من مازن بابتسامة تنسيه هم دنياه وما حل به، أردفت قائلةً: أحسنت صنعًا.

لم يجب عليها لكنه ظل محدق النظر إليها، يسرح في جمالها، وكأنه نسي ما كان يفعل، أخرجته هي من حاله وهي تقول: أظن أنك معجب بي، وتعرف، الآن، حقيقتي... لم أعد بشرية مثلك، يا مازن.

رجع إلىٰ عقله وهو يقول: والدك سيُقتل من اللعنة.

استدارت في حزن ثم التفتت وهي تزيل الدمع من عينها وهي تقول: لم يعد أبي، وسينال جزاءه، أرىٰ ذلك واضحًا، الآن، كشمس خرجت تحارب الغيوم في وضح النهار.

سألها: وهل تعرفين ما سيحدث لي؟.

كان ردها مختومًا بختمة الغموض الذي لطالما تحدثت به وهي تقول: مصيرك محتوم ومخير في وقت واحد... إما أن تأتي معي؛ أو تبقىٰ.

اتسع بؤبؤ عينه وهو يقول: هل من الممكن أن أذهب معكِ؟.

تبسمت وهي تقول: افعل الصواب، ولا تترك اللعنة تفسد عالمك.

لاحظ أنها تبتعد فنادىٰ عليها حتىٰ تلاشىٰ ظلها واختفت، هرول وراءها فاستيقظ وهو يقول: انتظري، أرجوكِ.

في مخبأ عثمان قد علم بما أن الطبيب قد أفشىٰ سره، فأخرج بعض الوريقات وهو يبتسم كاتبًا اسم ذاك الطبيب ليضعه ضمن القائمة التي قد سجلت كل الجثث التي قد جعلت قربانًا لظهور اللعنة بشكل أسرع؛ أسرها في نفسه أنه سيضع الاسم ليجعله ينال شرف الموت كونه مات ليحرر الملك... كانت تلك حجته لينتقم منه علىٰ إفشاء سره بهذه السهولة.

توجه إلىٰ منزل الطبيب حتىٰ أنه لم يخفِ وجهه كما السابق، وما إن وصل حتّىٰ ضغط زر الجرس فتحت زوجة الطبيب وهي تهندم ملابسها، حين رأته ارتعب قلبها وهي لا تعرفه في الأساس فقالت سائلة: تفضل، من أنت؟

- أريد زوجك في مسألة مهمة للغاية لا تحتمل التأجيل.

طلبت منه أن ينتظر لثوانٍ حتىٰ تخبره، لكنه قد دلف الباب وراءها فلم تشعر به، ولجت غرفته لتوقظه فأبعدها عثمان بقوة، فصرخت بصوت عالٍ أفزع زوجها النائم؛ فاستيقظ كالذي أصابته الكهرباء في يوم شتيّ، حين رأىٰ وجه عثمان؛ اسودت الدنيا في وجهه، وتسلسل الرعب إلىٰ قلبه بكثير من الخوف سيطر علىٰ كل جوارحه، فاهتز جسده ورجع إلىٰ الوراء وهو يسند ظهره قائلًا بتوسل: أرجوك، لا تقتلني، أنا لم أقل شيئًا، صدقني.

تبسم عثمان وهو يقول: كيف أصدقك ونحن قد احترفنا الكذب معًا؟، ألا تذكر؟.

تأكد حينها أنه لن يتركه يحيا بعد هذا الحديث، أصبح كالغريق يتشبث في كلمات التذلل لكي ينقذ نفسه، لكن الشرر الذي يتطاير من عين عثمان كان كافيًا ليجعله يحترف الصمت ولا يتفوه بكلمة واحدة؛ أخرج عثمان من جيبه سكينًا وهم بطعنه؛ لولا أن سمع صوت زوجة الطبيب وهي تقول ممسكة مسدسًا بكلتا يديها وهي تقول بصوت مرتعب غير قدميها التي لم تثبت في مكانهما ولو للحظة التفت إليها عثمان بنظرة بها من الشر ما جعلها تغمض عينيها وهي تصرخ بصوت عالٍ فانقض عليها وأمسك بها بإحكام وهو يهمس في أذنيها قائلًا:

- اصمتي، ولن تقتلي، أفهمتِ؟.

أومأت برأسها إيجابًا وهي تبكي؛ فنزع منها السلاح بقوة وتركها، هرولت نهاية غرفة أولادها لتأخذهم خارج المنزل، وتترك زوجها يواجه مصيره المحتوم، صمت الطبيب وارتسمت

فجأة ابتسامة غريبة، لم يع عثمان المغزىٰ منها، حتّىٰ سأله قبل أن يقتله فأجابه قائلًا: كنت أعلم نهايتي، هيا، افعلها.

طعنه وخرج بكل ثقة، بخطوات بطيئة، وهو ينظر إلىٰ غرفة أطفال ذاك الطبيب، فابتسم ثم اتجه خارج المنزل.. لم يرد قطع رأسه، وكتابة تلك العبارات التي ستجعل سمير يعي أن عثمان هو من قتل الطبيب -إن صح القول- لم يجعلها إهداءً له في كوب من الذهب علىٰ منضدة وهو يسترخي، يريده أن يرهق نفسه لكي يضمن السباق إلىٰ آخره، وأنه هو من يهيمن عليه.

❀ ❀ ❀

رجع مازن من المقابر متجهًا صوب قسم الشرطة، ليبرم اتفاقًا جديدًا مع سمير، طلب مقابلته؛ فأذن له، رأىٰ تلك الكتب المبعثرة هنا وهناك وهو يجلس منشغلا كالذي أرهقه السفر؛ حين دلف مازن الباب عليه؛ لمح سمير ابتسامة بها مغزىٰ لم يفهمه وقتها، لكنه هم ليسلم عليه وأجلسه وهو ينادي علىٰ أمين الشرطة بصوت عالٍ أن يحضر كوبًا من الشاي، تنهد مازن قبل أن يتحدث ثم أخبره قائلًا:

- أعتذر منك علىٰ ما بدر مني، أعلم أنني كنت فظًا معك.

الابتسامة التي شقت طريقها بين ثناياه جعلت الطمأنينة تلج قلب مازن، وكأن هذه الابتسامة هي جواب مخفي عن أعين الناس، اعتدل في جلسته وهو يستند علىٰ كرسيه، ثم أردف قائلًا:

- لا تعتذر، أنا أعلم أنك لم تكن في وعيك حينها، تعلم، من عادتي حين أحدث شخصًا غاضبًا أتلاشىٰ كل ما تفوه به وقتها؛ فالغضب يغير صاحبه عن فترته... دعك مني، الآن، أخبرني، لمَ أتيتَ؟!.

- عثمان أتم عدد الجثث كما تقول الأسطورة، هو أخبرني أنني المختار، لا أعلم مدىٰ صحة حديثه هذا، لكن ما أريده منك هو أن تحفظ هذا العنوان جيدًا.

أعطاه العنوان، كانت تلك شقة صديقه التي يجلس فيها...

سأله سمير متسائلًا:

- ما الذي علي فعله، الآن؟

- لا شيء، فقط الانتظار، وستحصل علىٰ إجابات كثيرة، وحق صديقك لن يغفر بهذه السهولة...

أوما برأسه وهو يقول:

أنتظر اتصالك... هل ستخبر صلاح بهذا الأمر؟.

- ليس الآن.

خرج مازن متجهًا نحو منزل والده، أثناء طريقه ظل يفكر في اشتياقه لأمه الذي كاد يقتله، لم يعد يتحمل ألم الفراق الذي يعسر في القلب، فيجعله ينزف، فيجري الدم منه مجرىٰ النهر، تفاجأ بسيدة عجوز تقابله في الطريق، اقتربت منه علىٰ حين غفلة، فانتفض... فوجدها تحضنه وهي تقول:

- رأيتك تبكي، وأنا لا أحتمل هذا البكاء.

ربتت علىٰ كتفه، ثم أكملت طريقها، فابتسم لها... كانت تلك ابتسامتهُ الأولىٰ حتىٰ تبعتها ضحكات، وصرخات مؤلمة كادت تعسر القلب حتىٰ ينزف دمًا بجراح لن تتوقف، الحنين الذي طال عمره يطارده مانعًا الفرحة أن تلج قلبه منذ الصغر، ذاك اليوم الملعون... وكأن السماء لم تشرق فيه... وتغيبت الشمس عن الطلوع، ظل القمر كالعرجون القديم... وكأن ضياءه قد طمس، حتىٰ شعر أنه ينطفئ، ذكريات قد تجمعت جملة واحدة ثم دُفعت إليه علىٰ مضض، ظل يضغط علىٰ أسنانه بغيظ ألقىٰ الشرار إلىٰ عينيه فبدت حمراء لا صفاء فيها، تذكر وقت أن افترش الأرض واضعًا يده فوق رأسه ألمًا وحسرة يوم وفاة أمه... يوم أن تغير العالم في نظره مغيرًا وجهته، يرىٰ الحياة كأنها عقاب نزل من السماء مثل الصاعقة تعرف وجهتها فخسفت به الأرض، تغير طعم المياه الحلو إلىٰ مياه مالحة، لا الأنهار عاد يراها بلونها الزاهي المتناثر من حضرةٍ ولا النظر إليها ألقىٰ السلام في قلبه المحطم؛ وكأن شرايين الحياة قد تمزقت، عليه، الآن، أن يصمد، ويتقوىٰ علىٰ الجراح التي تفتك بيه كل حين مرةً أو مرتين، ذاك الطفل الصغير عليه من الآن وصاعدًا أن يتحمل التعنيف، ألا يجعل عينيه يغرقان في الدموع؛ فلن يأخذه أحدهم بين أحضانه ليخفف عنه، فلقد ماتت جنته علىٰ الأرض، والجحيم هو المأوىٰ والمنتهىٰ حتىٰ يفارق تلك الحياة بقسوتها، ولقد عزم علىٰ الخروج منها ولكن بشكل يليق، كُتب عليه كل هذا... وهو لم يبلغ سن الشيب بعد.



في هذه الأثناء وصل إلىٰ سمير بلاغ يفيد بمقتل الطبيب الشرعي في منزله، فتوجه مسرعًا، ألقىٰ نظرة عليه ثم خرج يتحدث مع زوجته... وهي تصف الشخص الذي اعتدىٰ عليها، وقتل زوجها... فطن سمير إلىٰ الأمر منذ أن تحرك وهو يعلم علم اليقين أن عثمان سيفعلها؛ لكنه ألقىٰ باللوم علىٰ نفسه لِمَ لمْ يضع شخصًا يراقب منزل الطبيب؟، لم يكن يركز في هذا الأمر... زوجة الطبيب قد انتهت من وصفها للمجرم حتىٰ أنها شعرت أن سمير لم يكن يستمع جيدًا لحديثها، كان واضحًا شروده للجميع... أحرجته بكلماتها وهي تقول: هل تعرفه؟.

تلعثم في حديثه وهو يقول:

ماذا...؟، لا أعرف، ولكن سنعلم، من يكون؟

قلق سمير علىٰ مازن كونه لا يعلم حتىٰ الآن ما الذي يدور في رأسه، ذهب إلىٰ منزله.

ظل عثمان يعد لمراسم الاستقبال لهذه الروح القوية، جلب بعضًا من الاقمشة البيضاء، كما أخبره بشكروش، ودماء بعض الجثث التي قد تجلطت وتعفنت، ثم أتىٰ بلحم خنزير مقطع، وتلىٰ عليه بعض التعويذات التي رُسمت علىٰ المفتاح حين أضاء، بدا كأن إضاءته حينها ترىٰ للعوام، بل من سخر نفسه لخدمة بشكروش، أو من يحمل قلبًا نظيفًا من الخطايا يستطيع من خلاله رؤيته.

لم يكن يجهل الأمر كم ظن الكثير؛ بل هو يعي جيدًا أن من جلب روحًا بهذه القوة إلىٰ العالم مرةً أُخرىٰ؛ لابدَّ وأن يكمل

ما بدأ حتىٰ لو انتهىٰ الأمر بهلاكه... ضميره الذي ما إن كشف الظلمات حتىٰ وصل إليه علىٰ حين عفلة منه... نزلت دمعة من عينه ساخنة تحرق من لهيبها خدها؛ لولا أنها تلاشت وهو يزيحها بيديه، ملامح وجهه قد تجمدت، فأصبح يشبه الرجل الآلي لا حياة فيه ولا روح، يتبع أمر شيطانه، ويطلق له العنان، ويغفل عن عبادة ربه الأحد... كان أحمق حين قتل أولاده خشية إملاق كما ادعىٰ؛ لكن الحقيقه عكس ذلك بالمرة!.

نصت مراسم الخروج علىٰ وعاء ذهبي ليس كمثله شيء يعود إلىٰ الملك في السابق، كان يتناول طعامه فيه، جلبه بتعويذات قد أعدت لهذا الأمر، حدد المكان والزمان، وتهيأ عثمان للغنىٰ الموعود وعمر ممدود...

بعد يومين ذهب مازن إلىٰ عثمان، وما زالت كلماته تطمئنه أنه علىٰ استعداد لاستقبال الروح في جسده الفاني بكل تضحية وإيمان، لكنه يعي أنه فخ قد أعد له... هكذا قد يكون مازن قد سبقه بخطوة كبيرة.

أخبر سمير بكل ما سيحدث حتىٰ يعلم متىٰ يتوجب عليه القبض علىٰ عثمان، لكنه علم أن الأمر لا يقتصر علىٰ دجال مريض، بل هو أكبر من ذلك بكثير، أجلس مازن علىٰ تلك الرمال الساخنة وهو يضع يده فوق رأسه بصوت عالٍ يتلو هذه الكلمات المريبة؛ فأغمض عينيه في خوف وترقب، أنفاسه كادت تنقطع منه من رهبة الوضع، أخرج الوعاء، وأخذ يضع فيه قطعة من لحم الخنزير التي جهزت بدماء البعض.

استعد سمير وصلاح ومعهم قوة من رجال الأمن، الجميع كان رهن الإشارة، ظل عثمان يلتف حوله وهو يردد:

(الوعد قد اكتمل... الوعد قد اكتمل).

فوقع عثمان أرضًا وهو يلتقط أنفاسه كالذي يغشىٰ عليه من الموت، فجأة، تغيرت كلماته، ظل يتدحرج نحو مازن ممسكًا بيده وهو يقول:

- الملك سيمنحك القوة.

ضغط علىٰ أسنانه وهو يتقوىٰ علىٰ نفسه ليعتدل واقفًا، اجتاحت العاصفة الترابية المكان، ما عاد يرىٰ شيًا، قوات الأمن تراجعت إلىٰ عرباتها، اقترب صلاح ومعه سمير من المكان، لاحظا نورًا أضاء في جو السماء، ثم تحول إلىٰ شعاع متجهًا نحو الأرض بسرعة كبيرة، تراجع سمير وهو يحدق النظر إليه، لم يطرق صوت الارتطام أذنه حين سقط هذا الشيء الغريب، نادىٰ عليه صلاح وأخذوا يقتربون من مازن، رأوا عثمان للمرة الأولىٰ ذاك الرجل العجوز الذي لم يفكر ولو لثانية في مصير هذا العالم وبالأحرىٰ كان عليه أن يفكر كثيرًا قبل قتل أولاد؛ ظل عثمان واقفًا وهو يفتح ذراعيه بالوصيد رافعًا رأسه إلىٰ السماء بابتسامة بلهاء تعلو محياه، سريعًا، ما تلاشىٰ الغبار حتىٰ كشف المكان، وجدوا النور يعلو ويسطع حتّىٰ شعروا أن أقدامهم قد ثبتت وألسنتهم قد لجمت، وقع سمير فاقدًا الوعي بينما صلاح لم يقف كثيرًا حتىٰ سبقه، ربطت يد مازن في الكرسي بشكل محكم، أنفاسه تتسارع كالذي يهرول من شيء يخافه، أمواج البحر قد

تعاركت وتلاطشت أمامهم، ظل ينظر مازن إلىٰ وجه عثمان والفرحة التي لم تسع قلبه؛ رغم أبنائه الذين لقوا حتفهم بسببه، لكنه لم يعد يرغب في اللقاء، التفت عثمان إلىٰ مازن ثم أخذ الفتاح وظل يقول:

وعدٌ قد أخذناه، وعهد بالدم كتبناه،

وعدٌ قد أخذناه، وعهد بالدم كتبناه.

«بشكروش» ملك الجان...

اخرج من لعنتك إلىٰ الحياة.

ظهر صولجان من المياه يطيرفوقها، ثم شق البحر إلىٰ نصفين، خرج بشكروش وهو يقترب من مازن، وما إن وصل إليه؛ حتّىٰ أمسك برقبة عثمان، يرفعه فوق وهو يقول بصوت جهوري أجش، لقد انتهىٰ دورك.

أخرج كلمته الأخيرة قبل موته وهو يقول: أنا خادمك، سيدي.

فأنزله حتىٰ لمس بقدميه الأرض، فقال بشكروش:

- سأقابلك في حياة أخرىٰ، لا تقلق...، لم يعِ ما قاله حتىٰ أعطاه ظهره ثم إلتفت إليه قائلًا:

- اذهب إلىٰ الماء، لا تفكر، بل نفذ ما طلبته منك.

نظر عثمان الىٰ البحر الذي ما زال يشبه الباب المفتوح علىٰ مصراعيه، تبدو بوابة العبور إلىٰ العالم، لن تستطيع العيش فيه، قام وهو يتكئ علىٰ كرسي مازن ثم اتجه نحو البحر كالمغيب،

ووقف أمام البحر، وقبل أن تلج الفرحه قلبه، فبادرها بالتقرب إلىٰ الماء رافعًا يديه وهو يقول:

- وعدٌ قد أخذناه، وعهد بالدم كتبناه،

وعدٌ قد أخذناه، وعهد بالدم كتبناه.

فألقىٰ بجسده فأغلق البحر عليه، احترف مازن المشاهدة دون خوفٍ حتىٰ أنه ظل ينظر إلىٰ ذاك الوحش الذي قد تشبه بهيئة إنسان آخر؛ أمسك «بشكروش» الإناء، وأخذ يستقي الماء الذي داخله، ثم نظر إلىٰ مازن بشر قد كُشف عنه الحجاب وهو يخرج من ورائه شيئًا يشبه الخنجر بحجمه الصغير، فقط، ثم وضعه علىٰ رقبته وهو يهمس في أذنيه قائلًا:

- اختياري كان صحيحًا، أيها البشري.





الفصل الأخير الرابع عشر
نهاية الأسطورة

تغير لون السماء وكأن عاصفة رعدية قد نزلت بهم استعدادً لمراسم الخروج، ظل «بشكروش» يضحك بضحكات شريرة مرعبة، فجأة، تحول إلىٰ مسخ... قدماه تشبه أرجل الماعز، بدت عيناه وكأنها جحيم تظهر من خلالهما همم من النار، أنيابه كمصاصي دماء، نزع الأحبال التي قد أحكمت ربطها علىٰ مازن، وما إن وقف حتىٰ طار الكرسي الذي يجلس عليه من ورائه، اتسعت عين مازن في ذهول من هذه القوة، سمع أحد ينادي عليه بصوت أجهده النهجان وهو يقول:

- لا تقتل ولدي، أرجوك.

كان والده التفت إليه «بشكروش» باهتمام لحديثه ثم علىٰ الغضب، غضب لو أسقط علىٰ بلدة؛ لجعلها من أسفل السافلين، أشار بشكروش إليه، فتفاجأ والده بأن جسده قد حملته الرياح فارتفع من الأرض في دهشة من مازن الذي قد لجم لسانه فلم يستطع التحدث؛ فجلبته إلىٰ «بشكروش» بمحاذاة وجهه، ظل ينظر في عينيه، ثم قبض علىٰ رقبته محدقا النظر إليه، ثم تركه فوقع أرضًا، تغلب مازن علىٰ نفسه ليتفوه بتلك الكلمات:

- اتركه وشأنه، أرجوك.

تبسم ابتسامة ذات مغزىٰ وهو يقول:

- لو تعلم ما أعلمه؛ لما طلبت مني أن أتركه.

لم يعِ ما يقوله هذا المسخ حتىٰ أوضح له قائلًا:

- ألم يخبرك والدك بأنه هو من تسبب في موت والدتك...؟

وكأن صاعقة من السماء قد خسفت به الأرض، اتسع بؤبؤ عينه مستغربًا بصوت عالٍ مستنكرًا:

- ما الذي تقوله؟!.

اعتدل والده وهو يتقوىٰ علىٰ الصمود ناظرًا إلىٰ مازن... نظرة بها من الحنين والألم ما لم يحتمله أحد، جثا مازن علىٰ ركبتيه سائلًا:

- هل ما يقوله صحيحًا؟، أخبرني.

لم يستطع أن ينظر إلىٰ عين ولده ولا أن يحاوره، أنزل رأسه في خيبة أمل وهو يقول:

- كنت أحبك كثيرًا... أمك كانت من طيبة أيضًا... قاطعه «بشكروش»:

- كل شيء كما خطط له، ألم يخبرك والدك بأنه هو السبب في وجودك هنا الآن؟، هو السبب في اختيارك، هو من قدمك قربانًا ليحيا.

علا صوت مازن ممسكًا بأبيه يهزه بقوة وهو يقول:

- لا تصمت هكذا، أخبرني، هل ما يقوله صحيحًا؟!.

لم يتكلم فأثبت التهمة عليه، صعق مازن حين صمت والده فجثا علىٰ ركبتيه قائلًا:

- أجعلتني قربانًا له؟!.

رفع والده رأسه متجاهلًا النظر إليه، ثم ضغط علىٰ أسنانه بغيظ وهو ينظُر إلىٰ «بشكروش» ثم هم ليقتله لكنه قد تلاشىٰ جسده واختفىٰ، ثم ظهر وهو يقول:

-تعرف مدىٰ قوتك يا ضعيف، وتعي جدًا قوتي.

لم يتفوه مازن بكلمة وكأنه قد صم عن الحديث، أحس والده أنه لم يستطع إصلاح الأمر كما أفسده في الماضي؛ الدموع قد عرفت طريقها حتّىٰ تساقطت كنهر جارٍ، أخرج كلماته تلك بصعوبة:

- أعلم أنك لن تسامحني؛ لكني سأكفر عن ذنبي، أعدك.

التفت إلىٰ «بشكروش» وهو يقول:

- أنا من وقع العقد فلتهلك جسدي، واتركه، هو لم يفعل شيئًا.

خرجت الضحكات الساخرة من «بشكروش» ثم تبعها قائلًا: يبدو أنك قد نسيت العقد الذي وقعت عليه أم تتناسىٰ يوم أن

جعلت ولدك قربانًا لي؟، أنت أنقذت نفسك، وأنا قد اشتريت؛ فلا رجعة.

نكص ذليلًا يرجوه:

- خذ جسدي، ولكن لا تصبه بمكروه.

احمرت عيناه بلون الدم وهو يقول:

- قد انقضىٰ الوقت علىٰ هذا الحديث، ولم أعد احتاجك في شيء.

ثم أشار إليه ممسكًا المفتاح، فأطاح به قرب الشاطئ فاقدًا الوعي.

تسلل الغضب إلىٰ قلب مازن وهو يرىٰ والده رغم ما فعل، يطاح به بهذا الشكل، وقف دون خوف ولا قلق، وكأنه لم يعد يخشىٰ هذا المسخ، لذا استطاعت الأفكار الولوج إلىٰ عقله حينها، فتذكر ما قاله صلاح بشأن الأسطورة:

- أن المختار -وهو من يخلص الكون من الهلاك- فقط حين يقتلُ نفسه وقت اكتمال الدمج في جسده، كانت تلك النية مبيتة في قلبه منذ أن علم بكونه المختار، وقف أمامه بصوت عالٍ دون خوف وهو يقول:

- هيا افعلها واحصل علىٰ جسدي؛ فهو لك، أريد أن أمتلك القوة والمال.

تعجب منه قليلًا ناظرًا إلىٰ وجهه، ثم أردف قائلًا:

- أعجبني فيك ذكاؤك.

ثم رجع «بشكروش» إلىٰ الوراء، وظل يتلاشىٰ حتىٰ اختفت قدماه، وتحولت إلىٰ غبار، دخل فم مازن، ظل يتصاعد إلىٰ فمه، بينما أفاق صلاح، رأىٰ مازن يقف علىٰ الشاطئ وهو يحاول أن يمتص تلك القوة، قدماه كانتا ينزفان دمًا فأسرع إليه دون التفكير في خطورة الأمر، وما الذي سيحدث إن اقترب منه؟!، حتّىٰ غشيته عاصفة رملية محملة بالأتربة، لم يستطع فعل شيء...لاحظ مازن وهو يخر أرضًا، ضعفت قواه، ثم امتطىٰ خنجرًا من الأسفل وهو ينظر ناحية صلاح مبتسمًا وهو يقتل نفسه، فأسكن الخنجر في رقبته، وجعله يستقر، تألم «بشكروش» داخله بشدة، ظل يقولها بصوت عالٍ:

- غبي!، كنت سأجعلك تحكم العالم...

لم يكمل كلمته حتىٰ تلاشىٰ، رجع كل شيء كما السابق، وتغير لون السماء، ورجعت لشكلها الطبيعي، ثم تلاشت العاصفة، فهرول إليه صلاح، وضع يده علىٰ قلبه لكنه قد توقف... توقف كل شيء بعدها حتىٰ فارق الحياة دون أن يأخذ منها نصيبه، لم يتمسك بها، لم يحبها لم يرَ فيها يومًا عدلا.

أفاق والده ليرىٰ ولده ملقىٰ علىٰ الأرض، وجسده ينزف دمًا بغزارة، فاقترب منه زحفًا علىٰ ركبتيه، وجلس بجواره وهو يبكىٰ ألمًا وحسرة، ظل يقبل يديه، وهو في صدمة قائلًا:

- استيقظ يا ولدي، أرجوك...، أخبرني أنك لم تمت، أرجوك، لا تمت قبل أن ترضىٰ عني... لا أستطيع تحمل العيش بدونك، ابتعدت عنك لأجلك أنت، صدقني، لم أرد قتلك، هيا، قف علىٰ قدميك...

ظل يصرخ فيه بصوت أرهقه المرض حتىٰ غاب وعيه، فوقعت رأسه علىٰ جسد مازن، فتسللت الدموع لتختلط بالدماء، ظهر عثمان علىٰ حافة الشاطئ وقد فاضت روحه إلىٰ خالقها، دخلت القوة فأفاق سمير وهو ينظر حوله، فلاحظ مازن وهو يرقد أرضًا فانطلق إليه، رأىٰ الدماء وعلم أنه قد رحل عن دنيانا، لكن كلمته لم يقتلها وهو يقول غير مصدقٍ لما حدث له:

- ما الذي حدث؟.

رفع صلاح رأسه وهو يبكىٰ، فتأكد سمير حينها أنه قد مات، فوقع مستندًا علىٰ ركبتيه وهو يقول:

-علمت الآن لمَ لم يرد أن أحضرك معي يا صلاح... كان يعلم أنه سيفارق الحياة.

أتت سيارات الإسعاف ليحملوا الجثمان، ونزل الممرض ليحمل والد مازن من عليه، ويرفعه إلىٰ السيارة، فتفاجأ بأنه قد مات أيضًا!.

لم يحزن صلاح عليه، فلقد علم بالأمر كله...

مر يومان، قد دفن مازن ووالده بجوار بعضهما، ليأخذ كل واحد حقه ولكن عند ربه، وقد أرجع الضابط «سمير» المفتاح المسروق إلىٰ المعبد، وحصل علىٰ ترقية كبيرة، لطالما كان يحلم بها، لم تسرق جثة من المقابر بعدها، ظل صلاح يتقصىٰ مخبأ عثمان، ليعلم أين كان يخفي تلك الجثث، لكن رائحة العفن قد تسللت إلىٰ الخارج من مبنىٰ مهجور قد تركه الجميع منذ زمن؛ الرائحة لم تعد تحتمل فأبلغت الأهالي الشرطة، استطاع سمير إرجاع الأمانات إلىٰ أهلها، ورجع صلاح يعمل علىٰ إخراج الأعمال من المقابر كالسابق، ووهب ثوابها إلىٰ مازن... ذلك الصغير الكبير في آن واحد.

مر عام، وتزوجت زوجة أبيه، لكنها ظلت تبعثر في الكتب، وكأنها تبحث عن شيء حتىٰ وجدت بعض الأختام، فوضعتهن في أصابعها، وسافرت إلىٰ الأقصر حيث يوجد المعبد الذي يقبع فيه «بشكروش»، دخلت كزائرة لتشاهد المفتاح المسروق الذي قد عاد إلىٰ مكانه، وما إن اقتربت منه؛ حتّىٰ أضاء نورًا خافقًا، وهمس صوت في أذنيها قائلًا بصوت أقرب إلىٰ الهمس:

أما زلتِ علىٰ العهد؟.

ظلت تردد:

عهد باقٍ، وبالدماء يتجدد

عهد باقٍ، وبالدماء يتجدد.

تمت بحمد الله، وفضله

٢٠/٦/٢٠٢٠

